جامعة جنوب الوادي

محاضرات

في تاريخ مصر المعاصر

الفرقة الأولى- أساسي لغة عربية

أستاذ المقرر

د/ آية عبد الوارث سليم

٢٠٢٢ -٢٠٢٣

محاضرات

في تاريخ مصر المعاصر

دكتور

د/ سقاو دردير

محتوى الكتاب

أولًا الموضوعات	الصفحة
الفصل الأول: الاحتلال الإنجليزي لمصر.	
الفصل الثاني: السياسة البريطانية في مصر.	
– أولًا: سياسة الجلنزة والسيطرة.	
– ثانيا: الكرومرية والسلطة الشرعية.	
ثالثا: جورست وسياسة وقف الجلنزة.	
الفصل الثالث: مصر أثناء الحرب العالمية الأولى.	
الفصل الرابع: الحماية وآثارها.	
– ظروف إعلان الحماية على مصر.	
– إنهاء الخديوية وقيام السلطة.	
الفصل الخامس: ثورة ١٩١٩.	

الفصل الأول

الاحتلال الانجليزي لمصر

الفصل الاول

الاحتلال الانجليزي لمصر

الإحتلال الإنجليزي لمصر

بقدر أهمية قناة السويس بالنسبة لمصر وبالنسبة للعالم والتجارة بين الشرق والغرب حيث قصرت المسافة بين الشرق والغرب ما بين ٥٠% و٥٧ % لطريق راس الرجاء الصالح، وبقدر ما جلبت من اشرار ومتاعب على مصر، حيث الامتيازات الأجنبية التي بمقتضاها جعل فرديناند دي ليسبس امتياز بحفر قناة السويس، وأصبح هذا المشروع إحدى الركائز القوية للنفوذ الأجنبي في مصر على الرغم من أن المصريين هم اصحاب الارض وبذلوا دمائهم وأموالهم في سبيل حفر القناة، و فتح سعيد باب الاقتراض من البلاد الأجنبية فكان أول قرض سنة ١٩٦٢ كما ابتدع سعيد طريقه السندات على الخزانة وهي أن يستدين من المرابين ديونًا سائرة بواسطة سندات يحررها على الخزانه العامه للقيمة المختلطه بالرغم من ان لهذه الوسيلة خطوره على مالية البلاد لانها استدانه لا ضابط لها ولا رقابة، وتوفى سعيد تاركا وراءه دينا يزيد على ١٠ مليون جنيه اكثر من مجموع ميزانية الدولة حينئذ، وكان سعيد مصرفا كثيرا النفقات، وكان بوسع إسماعيل بعد وفاة سعيد تصفية ديون سعيد وتلافي هذا الخطر غير أنه لم يمضي عام على حكمه حتى امتدت يده الى البنوك الاجنبية حيث توسع اسماعيل في كثير من المشروعات منها إتمام حفر قناة السويس وإنشاء كثير من الترع والمصارف والسكك الحديدية والمدارس والمطابع وحروبه في افريقيا وانشاء امبراطوريه مصريه امتدت حتى خط الاستواء كما كان اسماعيل ايضا شديد البذخ والترف واللهو.

استمر اسماعيل في الاستدانة حيث أحاطت به مجموعه من بطانة السوء من المتمصرين والأجانب زجت به في مشاريع حصلت منها على أرباح طائلة، ايضا الحكم المشهور الذي أصدره نابليون الثالث إمبراطور فرنسا- في النزاع الذي شجر بين اسماعيل و شركة قناه السويس عندما اراد الغاء بعض شروط امتياز الشركة إذ قضى نابليون بان يدفع اسماعيل لشركه تعويضا قدره ٣٣٦٠٠٠٠ جنيه وقبل إسماعيل هذا الحكم، ودفع المبلغ الذي لم يكن بوسع ميزانيه الدوله ان تتحمله، جميع انفق اسماعيل اكثر من مليون جنيه على الحفلات التي اقيمت لافتتاح قناه السويس للملاحه سنه١٨٦٩.

ايضا انفق اسماعيل اموالا طائله على الهدايا والرشاوي التي بذلها لسلطان للحصول على فرمان سنة ١٨٦٦ الذي جعل وراثة العرش في اكبر ابنائه سنا، كما أنفق قدرًا آخر من الماء للحصول على لقب خديوي سنة ١٨٦٧، وقد وصلت الحالة المالية في مصر سنه ١٨٧٥ الى اسوء درجة بسبب دخول مصر في حرب خاسرة في الحبشة إذ ثقل على الدولة عبء الديون الضخمة وفوائدها الباهظة، وأصبحت مصر عاجزة عن سداد موارد الدولة مرهونة للديون التي اقترابها، فلم يعد حرجا في ان يعرض للبيع أسهم مصر في قناة السويس، فتلقفت انجلترا هذه الفرصة فاشترت هذه الاسهم بثمن بخس قدره ٣٩٦٧٥٨٣ جنيه واصبح لانجلترا الكلمة العليا في شؤون القناة وكان ذلك سببا في احتلال مصر بحجة الدفاع عن القناه.

وعندما ساءت حاله الخزانة المالية المصرية ورأى اسماعيل ان البيوت المالية الأوروبية (البنوك) قد تزعزعت ثقتها في الحكومة المصرية لهذا عرض اسماعيل علي انجلترا أن ترسل موظف مالي كفء لدراسه حالة مصر المالية ومحاولة الإصلاح، فوصلت

لجنه برئاسة " كيف" عضو البرلمان وعضو مجلس الملك الخاص، مقدمه اللجنة تقريرا اشارت فيه تحويل الدين الى دين موحد يسدد على خمسين عاما بفائدة ٧% وان تخضع البلاد للمشور الاوروبيه/ عن طريق انشاء اداره ماليه برئاسه اجنبي يفضل ان يكون انجليزي، وان يحترم الخديوي قرارات هذه الاداره ولا يعقد قروضا الا بموافقه هذه الاداره، وعندما ادرك اسماعيل سوء العاقبه استجاب لمقترحات الدول الاجنبيه و اصدر مرسوم في مايو سنه١٨٧٦ قضى بانشاء لجنه صندوق الدين من مندوبين عن الدول الدائنه تتولى تسليم المبالغ المستحقه من ايرادات البلاد وتفوض الخديوي في عقد اي قرض جديد او اصدار اذونات ماليه على الخزانه وهنا نجد ان صندوق الدين هذا يعتبر اول هيئه رسميه اوروبيه أنشئت لفرض التدخل الاجنبي في شؤون مصر، وشل سلطه الحكومه المصريه في شؤونها الماليه والاداريه واصبحت حكمه اجنبيه داخل الحكومه الشرعيه لها سلطات واسعه المدى.

الى جانب هذا أصدر اسماعيل مرسوم بتحول ديون الحكومه ايضا الى دين موحد قدره ٩١ مليون جنيه بفائده٧ % يسدد فيه٦٥ سنه وخصص لسداد الدين الموحد وفوائده موارد معينه حددت في رسوم صندوق الدين.

ولكن كل هذا لم يقنع الحكومه الانجليزيه فاتفقت مع الحكومه الفرنسيه علي فرض الرقابه الثنائيه الفرنسيه والانجليزيه على الماليه المصريه مع الابقاء على صندوق الدين الخديوي على ذلك خوفا على مركز تحت تهديد الدولتين، و اصدار مرسوم بتعيين مراقبين عاميين للماليه المصريه، احداهما انجليزي لمراقبه الواردات، والاخر فرنسي لمراقبه المصروفات، و بهذه الكيفيه اصبح بمثابة فرض الوصايا الانجليزيه و الفرنسيه على مصر.

وبدا يتحكم المراقبين الانجليزي والفرنسي في احوال مصر الماليه فكان عليهم ان يرهقا الدوله ويعمل على اغراقها في الديون اكثر حتى يستمر الحال المتدهور، وتزداد السيطره الاجنبيه، تعطلت كثير من المشروعات وارهق الفلاحون بالضرائب، و تاخير مرتبات الموظفين، وتم تسريح عددا كبيرا من ضباط الجيش رغبه في توفير الاموال اللازمه لسداد الديون، ولكن هذا لم يكن وفير الاموال اللازمه لسداد الاقساط الضخمه، وبدلا من ان يعترف المراقبين الانجليزي والفرنسي واعضاء صندوق الديون هذا القصور الى اقتراح الشروط التي فرضها النظام الثنائي واذا شراهه الدائنيه انفسهم اتهام اسماعيل بانه يقيم العقبات في سبيل انتظام شؤون الحكومه الماليه، واتفقوا مع اعضاء صندوق الدين على المطالبه بتاليف لجنه تحقيق اوروبيه لفحص هذه الشؤون.

وبالفعل تم تاليف هذه اللجنه التي اشارت الى بعض العيوب مثل كثره نفقات الخديوي الشخصيه، وعدم وجود حد فاصل بين ماليه اسماعيل وماليه الحكومه، وخراب ذمه المتعهدين الاجانب، وشراهه المرابين واصحاب البيوت الماليه، وبالتالي ساءت احوال البلاد وانتشرت المجاعه، ولم تدع مرتبات الموظفين، واضطر الفلاحون بيبيع محصولاتهم قبل نضجها بنصف الثمن او اقل للمرابين، ومع هذا فان اسماعيل لكي يرضى الاجانب، اعاده تشكيل الحكومه ونزل عن بعض سلطاته، في انشاء مجلس منظار من وزراء مسؤولين يرأسهم رئيس مجلس النظار، وادخلت في هذه الوزاره وزيرين اوروبيين احدهما انجليزي لوزاره الماليه والثاني فرنسي لوزاره الاشغال، وهذه هي الوزاره المختلطه.

هذه الاجراءات التي اتخذتها اسماعيل والتي ادت الى تدخل الاجانب في شئون مصر الداخليه عدت الى اجتماع العلماء والاعيان المصريين في منزل السيد البكري نقيب

الاشـراف ويرفعـون الشـكاوي ويتهمـون هـذه الـوزاره بالخيانـه هـي الاوروبيـين، وزاد سـخط الشـعب علـى هـذه الـوزاره(وزاره نوبـار) ،وفـي نفـس الوقـت تكتلـت جهـود رجـال الجـيش مـع الحركـه الشـعبيه علـى اسـقاط وزاره نوبـار، وتظـاهروا امـام وزاره الماليـه، ونـزل الخـديوي بنفسـه وهـدئ المظـاهره (فبرايـر ١٨٧٩) وهنـا اسـتغل اسـماعيل برئاسـه ابنـه توفيـق وباقيـا الـوزيران الاوروبيـين، وكانت وزاره نوبار بناء على طلب الدولتان الاوروبيه حيث حيث ميول نوبار الاوروبيه.

وعنـدما اشـتدت الحركـه الوطنيـه طالـب الوطنيـون بتشـكيل وزاره وطنيـه مسـتقله مسـؤوله امـام مجلـس النـواب، ولا ان اسـماعيل سـئم تقيـد الاجانـب لسـلطته فاسـتجاب الـى مطالـب الشـعب فـاقر لائحـه وطنيـه وعهـد بتـاليف وزاره جديـده الـى شـريف باشـا وكـان معروفـا بوطنيتـه ومعارضـته للتـدخل الاجنبـي، وشـكلت هـذه الـوزاره فـي ٧ ابريـل سـنة ١٨٧٩ ، ولكـن هـذا لـم يكـن فـي صـالح الدولـه الاوروبيـه التـي رات ان اسـماعيل لـم يعـد يصـلح للحكـم فقـررت عزلـه، فيمـا بينهـا اسـتطاعت اقنـاع السـلطان العثمـاني عبـد الحميـد الثـاني فـي ذلـك الوقـت، الـذي اصـدر فرمانـا بعزله في سنه ١٨٧٩ وتولى ابنه توفيق الحكم.

وكـان توفيـق لا يميـل الـى الوطنيـه بـل تسـلط علـى عقلـه ان الكرسـي الـذي يجلـس عليـه لاتسـتند قوائمـه مـن الحـق الشـرعي الـوراثي او الـى قـوه الشـعب ومشـيئته بـل لابـد لـه مـن سـند اجنبـي، وضـرب بـذلك اسـوء مثـال فـي تـاريخ مصـر الحـديث حيـث اصـبح اداه طيعـه فـي ايـدي الاجانـب حيـث الفـت وزاره جديـده يرأسـها بنفسـه ممـا اثـار سـخط الـراي العـام فأضـطر الـى تشـكيل وزاره اخـرى يراسـها ريـاض باشـا سـبتمبر ١٨٧٩ وأعيـدت الراقبـه الثنائيـه، و صـدر قـانون التصـفيه الـذي وضـع لصـالح الـدائنين الاجانـب وتاسسـت شـركات بـرؤوس امـوال اجنبيـه لـم يقـولى المصريين على منافستها وملئت الوظائف بعدد كبير من الاجانب.

ادي ذلك الى عدم رضا الشعب والجيش اللذان اتخذا متظاهرين امام قصر عابدين في سبتمبر ١٨٨١ حيث اقبل الخديوي معه مستشاره رياض والسير اوكلاند كلفن المراقب الانجليزي، وتقدم عرابي الى الخديوي بمطالب الامه (شعبا وجيشا) وهي عزل وزاره رياض ودعوه مجلس النواب للانعقاد وزياده عدد الجيش الى ١٨ الف جندي، وأمام اصرار عرابي لتحقيق هذه المطالب، اضطر الخديوي الى الرضوخ ووعده باجابه الطلبين الاخرين، واتفق على دعوه شريف باشا لتكوين نظاره جديده، وهكذا عاد شريف باشا الى الوزاره مره اخرى في١٤ سبتمبر ١٨٨١ ، ومضي شريف على اعداد الدستور العمل على تحقيق مطالب الجيش والامه إلا أن هذا لا توافق عليه انجلترا وفرنسا مما يؤدي الى سوء التفاهم.

وفي يناير ، سنه١٨٨٢ عرض شريف باشا اللائحه الجديده على المجلس اعترض المجلس على عدم تخويله الحق في مناقشه الميزانيه وبما انه له حق الرقابه على الاداره العامه في البلاد، ينبغي أن يناوقش الميزانيه ويعترض عليها اذا راي ذلك، هذا مع احترامه لتعهدات الحكومه المصريه بشان الدين وقانون التصفيه، وكان المراقبان الاجنبيان من اشد المعارضة لمنح المجلس هذا الحق لانهما، يفقدان بذلك سلطاتهما ويصبحان مسؤولين امام مجلس النواب بعد ان كان اتصالهما بالخديوي وحكومته مباشرا لماذا ارسلت انجلترا وفرنسا مذكره مشتركه الى مصر تبلغان فيها الخديوي مساعدته للتغلب على ما يعترضه من مصاعب، وكانت هذه المذكره ذات مغزي خطير فجاءت دعوه صريحه للخديوي بقلب الحكومه، وحل المجلس النيابي، وزياده السلطه الاستبداديه القديمه، ذلك اعتبرها المصريون تدخل سافرا في شؤونهم الداخليه.

وأمام هذه المشاكل أضطر الخديوي توفيق الى تكليف محمود سامي البارودي بتاليف وزاره عين فيها احمد عرابي وزيرا للحربيه، ذلك يؤدي الى سخط الانجليز الذين اتفقوا مع الفرنسيين على ارسال اسطول مشترك الى الاسكندريه ثم ارسلتا مذكره ثانيه مشتركه في ٢٥ يناير سنه ١٨٨٢ تطلبان فيهما اسقاط وزاره البارودي وابعاد عرابي عن مصر وكذلك ابعاد الضابطين علي فهمي وعبد العال حلمي الى الارياف– ومن هذه المذكره والقوة القاهره لم يكن امام البارودي بد من الاستقاله احتجاجا علي اجازه الخديوي للدوله الاجنبيه التدخل في شؤون مصر تدخل مخلا بحقوق زياده السلطان على البلاد.

اما الضباط الثلاثه رفض الازعاج لمطالب الدولتين ووصلت الانباء الى الاسكندريه وحدث شجار في الاسكندريه سرعان ما اتسع نطاقه وتحول الى مذبحه الاسكندريه في ١١ يونيو سنه ١٨٨٢، راح ضحيتها عدد من الوطنيين والاجانب، وتحالفت وزاره جديده برئاسه اسماعيل راغب وبقى فيها ناظرا للحربيه، وفي نفس الوقت طلبت فرنسا عقد مؤتمر دولي لبحث المساله المصريه بحجه ان الحاله في مصر اصبحت تتطلب ذلك وافقت انجلترا على ذلك الاقتراح وانعقد المؤتمر، غير أن مندوب انجلترا اراد في ذلك، و اقترح ان يضاف الى هذا القرار جمله(الا للضروره القصوى) فكان بذلك ثغرة نفذت منها انجلترا لتحقيق نواياها في مصر.

ضرب الاسكندريه

عزمت بريطانيا الى تنفيذ اطماعها في مصر ، وخاصه حينما رأت أن النيه متجهه في المؤتمر بالآستانة الي مطالبه تركيا بارسال قوه الى مصر باعتبارها صاحبه السياده على تلك البلاد وهذا امر من شانه يعرقل تخطيط المطامع الانجليزيه في مصر، ايضا اتخذت

مـا قـام بـه العرابيـون فـي ذلـك الوقـت مـن اصـلاحات فـي طـوابي الاسـكندريه ذريعـة لضـرب الاسـكندريه فـي يـوم ١٠ يوليـو ١٨٨٢ ارسـل الامير ال سـيمور قائـد الاسـطول الانجليـزي الـى القناصـل والـى حكومـات الـدول يعلمهـا انـه سـيبدا ضـرب الاسـكندريه بعـد ٢٤ سـاعه اذا لـم تسـلم القـلاع للاسـطول، وعلـى الـرغم مـن احتجـاج الحكومـه المصـريه علـى هـذا الانـذار اطلـق الاسـطول الانجليـزي قنابلـه علـى حصـون الاسـكندريه، وبالتـالي ردت القريـه المصـريه علـى الاسـطول الانجليـزي بـاطلاق مـدافعها حتـى تهـدمت وانـدلعت النيـران فـي مبـاني المدينـه، ونزلـت الجنـود الانجليزيـه الـى البـر، وغـادر توفيـق سـرايا الرمـل ومعـه اسـرته وحاشـيته وقصـد راس التنـين حيث استقبله سيمور وهنأه قناصل الدول بسلامته.

والاقامـه خطـوط دفاعيـه ضـد الغـزو الانجليـزي الـذي نـزل علـى شـواطئ الاسـكندريه انسـحبت الحاميـه الخاصـه بالاسـكندريه وقـد اختـارت الحاميـه كفـر الـدوار لهـذا المركـز وارسـل الخـديوي الـى توفيـق بكفـر الـدوار يـدعوه إلـى الاسـكندريه، وكانـت هـذه الـدعوه بمثابـه خدعـة للقـبض عليـه ولكـن عرابـي رفـض الـذهاب اليـه حيـث الـبلاد فـي حالـه حـرب مـع انجلتـرا وارسـل عرابـي الـى يعقـوب سـامي وكيـل الجهاديـه رسـاله يعلـن فيهـا خيانـه الخـديوي للـبلاد، فـاهتم بـذلك يعقـوب سـامي وجمـع عـدد مـن انصـاره المتحمسـين لعرابـي واسـتقر الـراي علـى دعـوه مجلـس الشـعب مـن وكـالات الـوزراء وبعـض كبـار الضـباط وكبـار المـوظفين، واتخـذت الجمعيـه العموميـه قـرارا بإعـداد العـدة للقتـال مادامـت سـفن الانجليـز امـام الشـواطئ المصـريه فـي اسـكندريه، لهـذا عنـدما بلـغ عرابـي هـذا القـرار أصـدر امـره بعـزل عرابـي مـن وزاره الجهاديـه ولكـن الامـه لـم تحصـل بـامر توفيـق، وقـام عرابـي بتعيـين محمـود فهمـي رئيسـا لهيئـه اركـان حـرب الجـيش المصـري، وكـان مـن اكفـا رجـال الهندسـه الحربيـه فـي مصـر، اذ وضـع خطـه حكيمـه للـدفاع عـن الـبلاد،

وحدد مواقع رئيسيه لذلك اولها في كفر الدوار وثانيها في رشيد وثالثها بين رشيد وبحيره الرلس ورابعها دمياط وخامسها في الصالحيه والتل الكبير.

وقائع الحرب بين العرابيين والانجليز

كانت القوات المصريه هناك نحو عشرة الاف مقاتل وكان اول عمل من جانب المصريين هو سد ترعه المحموديه لمنع المياه العذبه الاسكندريه، وفي ٥ اغسطس سنه ١٨٨٢ هجم الانجليز قبل ان تاتي حملتهم على كفر الدوار، وصاروا على مقربه من الخطوط المصريه، فحمل المصريون عليهم قويه اضطرتهم الى التقهقر بعد ثلاث ساعات ، فعادوا الى الاسكندريه، ثم جدد الانجليزي الهدوم مره اخرى والتحم الجيشان وتقاتل بالسلاح الابيض وارتد الانجليز مهزومين، وبدات تفد الى كفر الدوار وفود من المصريين يشدون ازره، اما توفيق فقد اصدر بلاغا يحذر فيه المصريين من مناصره عرابي، واتهمه في بالعصيان،

وصلت الحمله الانجليزيه المنتظره الى اسكندريه في ١٣ اغسطس سنه ١٨٨٢ وكانت حمله ضخمه مكونه من ٤٠٠٠٠ من الجنود علاوة على ٩٠٠٠ من الهنود جاءوا عن طريق السويس وهجمت هذه القوات الضخمه على كفر الدوار والتحم الجيشان مره اخرى في ١٩ اغسطس و دارت معركه حاميه ارتد فيها الانجليز الى الاسكندريه متكبدين خسائر ضخمه وقد أعادوا الهجوم اكثر من مره لمده ثلاثه ايام متواليه والمصريون يردونهم على اعقابهم في كل مره الى الاسكندريه ومتكبدين خسائر ضخمه وقد اعادوا الهجوم اكثر من مره لمده ثلاثه ايام متواليه والمصريون يردونهم على اعقابهم في كل مره الى الاسكندريه مدحورين مهزومين.

ونتيجـه لهـذه الهـزائم التـي منـى بهـا الانجليـز فـي كفـر الـدوار مـن المصـريين فكـروا فـي طريـق اخـرا لـدخول الـبلاد عبـر قنـاه السـويس وقـد فطـن عرابـي لهـذا الامـر، فعـرض الفكـره علـى زمـلاءه ألا وهـي ردم قنـاه السـويس ولكـن دليسـبس افهـم عرابـي ان القنـاه محايـده ولا يمكـن للقـوات الانجليزيـه ان تسـتخدمها فـي امـراض حربيـه وبهـذا وثـق عرابـي فـي ديليسـبس وهـذا هـو خطـره وبـذلك فـوت ديليسـبس علـى عرابـي فرصـه عرقلـه الانجليـز علـى النـزول فـي الميـدان الشـرقي كمـا سـبق وان نجـح عرابـي فـي عرقلـه الانجليـزي عـن نـزول فـي الميـدان الغربـي (كفـر الـدوار) خاصـة حينمـا عمـل عرابـي علـى ردم ترعـه المحموديـه ليمنـع ورود المـاء العـذب بـالانجليزي فـي الاسـكندريه، وتقـدم الانجليـز حتـى وصـول الـى الصـحراء الشـرقيه فوجـدوا عررابـي قـد اقـام الحصـون فـي التـل الكبيـر ولكنهـا حصـون مقـام علـى عجـل واسـتدعى علـي باشـا الروبـي مـن دميـاط لقيـاده الجـيش فحضـر قبـل المعركـه بيـوم واحـد، فلـم تكـن لديـه فرصـه لدراسـه الموقـف الحربـي فـي هـذه المنطقـه سـواء بالنسـبه للانجليـز او المصـريين، لهـذا سـوف يكـون موقفـه ضـعيف المعركـه، وهنـا نجـد ان الجـيش المصـري فـي كـل الحـالات يقـف موقـف المـدافع فقـط ولا يسـتطيع ان يكـون مهاجمـا خاصـة وأن اسـلحه المصـريين اسـلحه ليسـت متقدمـه كـالتي مـع الانجليـزي، وكـان جـيش عرابـي لا يزيـد عـن ١٢٠٠٠ مقاتـل بينمـا الجـيش الانجليـزي الزاحـف تتكـون مـن ١٣٠٠٠ مقاتـل، كمـا اسـتخدم الانجليـزي بجانـب القـوه العسـكريه سياسـه الـدهاء والمكـر، فسـعوا لـدى السـلطان العثمـاني كـي يعلـن عصـيان عرابـي ونجـح فـي ذلـك، ممـا اضـعف مركـز العـرابيين، اذا كـان عرابـي دائمـا يعلـن انـه يعمـل لصـالح الـوطن ولخدمـه السـلطان ويـدافع عـن ارضـه ضـد الاجانـب الا ان السـلطان العثمـاني خـذ لـه فـي ذلـك جيـدا إذ أوهـن هـذا الاعـلان مـن عزيمـه العـرابيين اننفسـهم، كمـا لجـأ الانجليـزي الـى سـلاح الخيانـه فـي اسـتماله الـيهم بعـض العمـلاء الـذين يتسـترون لهـم اختـراق الخطـوط المصـريه خاصـه بـدأ الصـحراء الـذي ارتشـاهم

بعض العيان حتى يرشدوا الانجليزي لمواقع الجيش المصري، ايضا بعض الضباط الاتراك الموجودين بالجيش المصري في هذه المعركه.

لهذا كان هجوم الانجليزي على الجيش المصري في نصف دائره فاحاطوا بميمنه العرابيين وبمسيرته، وتقدمت فرقه من المدفعيه حتى صارت خلف خطوطهم وفتكت بنادق الانجليز ومدافعهم بالمصريين.

واستطاع الانجليز بهذه الطريقه الانتصار على عرابي ورجاله وهو اول نصر للانجليز في موقعه التل الكبير، ثم استمر الانجليز بعد ذلك في تقدمهم نحو القاهره ودخلوا بلا مقاومه في ١٤ سبتمبر سنه ١٨٨٢، برضى محمد الخديوي نفسه، واستسلم عرابي واصحابه للسلطه الانجليزيه وسلمت باقي المعسكرات والقلاع خارج القاهره وسرح الجيش المصري وامتلات السجون بالضباط وبعد وصل اليوم من الاسكندريه حيث استقبله الانجليز استقبال عسكريا، وفي ٣ديسمبر سنه ١٨٨٢ صدر حكم بالاعدام على عرابي والبارودي وعبد العال حلمي، واستبدل هذا الحكم بالنفي الي سيلان بعد ان جردوا من رتبتهم العسكريه وصودرت املاكهم، بعد قيام ثوره ١٩٥٢ ردت الثوره جميع الأملات التي صدرت في الثوره العرابيه)، وبهذا وقعت مصر فريسه الاحتلال الانجليزي الذي استمر فتره طويله يتمتع بخيرات البلاد رغم الثورات والاحداث التي بت تقاوم هذا الاحتلال ورغم الزعماء والمواطنين الذين عملوا كل ما في وسعهم للحصول على الاستقلال الا ان هذا الاحتلال الغاشم يستمر الى ما بعد قيام الثوره_ حتى ان عقد زعماء الثوره سنه ١٩٥٢ اتفاقيه الجلاء سنه ١٩٥٤، والتي بمقتضاها سحبت انجلترا قوتها العسكريه الباقيه من منطقه قناه السويس.

الفصل الثاني

السياسة البريطانيه في مصر

الفصل الثاني

السياسة البريطانية في مصر

اولا سياسه الجلنزه والسيطره

اعتمد كرومر في دعم السيطره الانجليزيه على النصائح والارشادات التي صار لزاما من على حكومه الخديوي اتباعها والا وجب على النظاره_ الوزراء_ التخلي عن مقاعدهم لضمان الاستقرار والتقدم سواء فيما يتعلق بشئون مصر الداخليه و بعلاقتها الخارجيه وكانت هذه سيطره توجهية وتنفيذيه معا في وقت واحد تقوم على فرض الرقابه الدقيقه على دولاب العمل وكل فروع الاداره واخضاع جهاز الحكم لمشيئة المعتمد البريطاني لتدبير كل ما يخدم مصالح انجلترا وذلك عن طريق اكبر عدد من الخبراء والمستشارين الانجليز في مختلف مصالح الحكومه وادارتها رمزا لاشراف انجلترا على الاداره المصريه كي يضمن الانجليزي تنفيذ المقترحات التي يقدمونها وذلك لان كرومر لم يكن يثق في رجال الاداره المصريين ولا يؤمن بكفاءتهم كما يعتقد ان ما انجز من اصلاحات في مصر لا يرجع الى المصريين وانما الى الاوروبيين الذين التحقوا بخدمه الحكومه.

ولم يكن تعيين اعضاء من الاجانب في حكومه الخديوي امرا جديدا فقد تغلغل النفوذ القنصلي والسياسي الاجنبي في شئون مصر الداخليه منذ ازمتها الماليه ايام اسماعيل وبقى الامر كذلك في عهد النظاره_ الوزراء الاولى المختلطه من نظاره توفيق(١٨٧٨_ ١٨٧٩) ولقد كان اقصاء التدخل الاجنبي في شؤون الحكم في مقدمه اغراض الثوره العرابيه.

وعندما احتلت انجلترا مصر ابقت سلطات الاحتلال فريقا من هؤلاء الموظفين ومنحته سلطته ونفوذه لم يعرفها من قبل واتخذت السياسه الكرومرية في جلنزة الاداره المصريه مظهرين فقد كانت قاصره في السنوات الاولى للاحتلال على تعيين عدد من الخبراء والمستشارين بالمصالح المتعلقه بتنميه موارد البلاد وذلك للتخلص من المشاكل الماليه التي كانت تعوق سياسه الاصلاح وكان من باكره سياسه الجلنزه بعد ان كانت سلطات الاحتلال قد سيطرت على الجيش تعيين مستشار مالي انجليزي وهو السير اوكلاند كيلفن بناء على تقرير قدمه شريف الى الخديوي في ٣ فبراير سنه ١٨٨٣ بمناسبه الغاء المراقبه الثنائيه ليشرف على تنظيم ماليه البلاد حتى تسترد مقدرتها علي وفاء الدين بتدبير الاموال اللازمه لتنفيذ سياسه الاصلاح ثم اعقبت سلطات الاحتلال ذلك بتعيين السير بنسون مكسويل نائبا عاما فى ٢٤ مارس سنه ١٨٨٣ و السير كولن سكوت مونكريف مفتشا للري في نظارة الاشغال في ١٠ مايو سنه ١٨٨٣ ثم صار هذا وكيلا لنظاره الاشغال العموميه في يناير سنه ١٨٨٤ مع احتفاظه بمنصبه كمفتش عامل الري والسير كليفورد لويد وكيل وزاره الداخليه في ١٥ يناير سنه ١٨٨٤ وفي ١٥ مارس سنه ١٨٩١ عين سيرجون سكوت مستشارا الحقانيه.

سياسة الجلنزة ودعم نفوز السيطرة

لقد انتهج كرومر سياسية تعيين امثال هؤلاء المستشارين الذين لا شك في ان طائفه منهم قد امتازوا بكفاءتهم في نواحي تخصصهم وادوا خدمات ملحوظة في ميادين الري والاعمال المساحيه وتنظيم ماليه البلاد وان لم يكن الدافع للقيام بتلك الخدمات الحرص على رفاهيه المصريين ولا سيما طبقه الفلاحين تلك الطبقة التي طالما تغني كرومر برعايتها واعتبر

نفسه ابا للفلاح بل قد كان الدافع لادائها اولا واخيرا مصلحه انجلترا من حيث جعل مصر بلدا زراعيا اخص خصائصه انتاج القطن لمد مصانع لانكشير بما تحتاج اليه من ماده خام.

بوفاه الخديوي محمد توفيق الذي كان مسايرا لسياسه الاحتلال الى حد بعيد كما سنتناول ذلك عند بحث العلاقه بين كرومر ممثل الاحتلال والخديوي_ و تولى الخديوي عباس حلمي مسند الخديويه سنه ١٨٩٢ بدا طور جديد في سياسه جلنزه الاداره المصريه اذا اخذ عدد الموظفين الانجليزي يتزايد في الادارات المصريه وذلك لضمان تنفيذ ما يراد إدخاله من اصلاحات مزعومة وذلك لان كرومر ما كان يثق في حسن النوايا الخديوي الجديد الذي كان يتوق بحكم تربيته العسكريه في بلاد فيينا والنمسا الى الحكم الشخصي والتخلص من السيطره الانجليزيه المفروضة على دولاب العمل فلم يشأ التعاون مع سلطات الاحتلال لاسيما وان رقعة العمل كانت قد اتسعت بعد ان استعادت الماليه المصريه مقدراتها على الوفاء بالتزاماتها منذ ابرام القرض المضمون سنه ١٨٨٥ وتمت مشاريع للري عديده هذا الى جانب انه ابتداء من عام ١٨٨٧ اخذت نفوس الانجليز تمتلئ ثقة باستمرار الاوضاع القائمه في مصر وامتداد اجل الجلاء بعد ان رفض الباب العالي التصديق على اتفاقيه ٢٢ مايو سنه ١٨٨٧ السالفه الذكر وصار معروفا منه ان الاحتلال لا يجب ان ينتهي طالما بقي" الدراويش" في السودان يهددون من جنوب الحدود المصريه وكانت موافقه تركيا اولا على عقد معاهده ٢٢ مايو ١٨٨٧ ثم اتفاق القسطنطينيه قبل ذلك في ٢٤ اكتوبر سنه ١٨٨٥_ لتهدئه السودان ولتنظيم الاداره في مصر ولاعاده تاليف وتنظيم الجيش المصري_ بمثابة اعتراف من جانب الباب العالي باستمرار الاحتلال مادام الانجليز لا يطمئنون الى استقرار الاحوال في مصر و الى قيام حكومه منظمه موطدة ترعى شئون البلاد.

ومما تجدر ملاحظته ان الزياده في عدد الموظفين الانجليز بدات تضطرد ابتداء من سنه ١٩٠٤ وهي السنة التي ابرم فيها الوفاق الودي بين انجلترا وفرنسا وقد استغلت سلطات الاحتلال هذا المركز الممتاز الذي اعترفت به انجلترا في مصر واخذ تعمل على زياده عدد الموظفين الانجليز في الاداره المصريه وكان من نتيجه زياده عدد الموظفين الانجليز ان صار الطلبة المصريين من خريجي جامعه اوكسفورد وكامبريدج الحاصلين من هاتين الجامعتين على اعلى الاجازات العلميه لا يجدون مكانا شاغرا في الاداره المصريه بينما ينعم من هم اقل منهم من حيث الكفاءه العلميه من زملائهم في الدراسه من الانجليز بأعلى المناصب في الاداره المصريه وفي سبيل حشد الوظائف بهذا في هذا الفريق الاخير من الموظفين اتبعت طريقه للتغلب على ضروره المام هذا الفريق من الموظفين باللغه العربيه ذلك النظام الذي كان قد اتبع وتقرر بمقتضاه نحو ادب اللغه العربيه بجامعه كمبريدج لما في ذلك من تمرين لهم على تعليم اللغه العربيه وبذلك يتيسر اختيار الموظفين الانجليزي اللازمين للمصالح المصريه من بين هؤلاء الطلاب الذين اتهموا دراستهم في جامعه كامبريدج بواسطه لجنه تتالف من اربعه من كبار الموظفين الانجليز في الحكومتين المصريه والسودانيه يتجدد انتخابهم كل سنه وهي مستقله استقلالا تاما ولا رقابه ولا سلطه لاحد عليها اما الطريقه التي تبعتها سلطات الاحتلال للتغلب على شرط الالمام باللغه العربيه ما هي انها اخذت تعيين فريقا من الموظفين الانجليز الذين لا يتوافر فيه شرط الإلمام باللغه العربيه في وظائف "تحت الاختبار" خارج بمرتب اساس قدره ٢٠ جنيها شهريا وعندما يبلغ مرتبه ٤٠ جنيها يتم تعيين في وظيفه دائما بناء على تقرير يتقدم به رئيس ذلك الموظف مشيدا فيه بكفائته وحسن إلمامه بالعمل المسند اليه فادي ذلك النظام الى تضاعف عدد الموظفين بالاداره المصريه حتى صار عددهم ٦٦٢

موظفا في سنه ١٩٠٦ وبلغ ١٧١١ في سنه ١٩١٩ هذا الى جانب عدد الضباط الانجليز بالجيش المصري.

ويتزايد عدد الموظفين الذين الانجليز الاداره المصريه اخذت تتلاشى تدريجيا فكره تدريب المصريين على حكم انفسهم تلك الفكره التي كانت تتفني بها سلطات الاحتلال في السنين الاولى منه.

ولقد اعتمد كرومـا على سياسه النصائح الالزامية لدعم تلك السيطره اذ قد كان من رأيه الا تقتصر مهمه انجلترا على النصح فيقول إذا رفضت مصر ان تاخذ بنصيحه معينه ففي هذه الحاله لا يكون امام سلطات الاحتلال الا احد حلين إما ان تتخلي كليه عن الامر تركة للمصريين ان ينفذوا ما يرغبون في تنفيذه واما ان تاخذ بكل صراحه باكبر نصيب من السلطه حتى تتمكن من النهوض باعباء التزاماتها وكان من راى في كرومر ان الحكومه (المحليه) يجب ان تكون دائما مهابة الجانب ومتصفة بالنزاهه والاستناره تعمل لتحقيق اغراض اساسيه هي المحافظه على سلطان الخديوي والقضاء على الفساد الذي استشرى في الاداره ثم انه كان من رأيه الا تعلن سلطات الاحتلال صراحه عن موقفها في امر من الامور الا اذا قامت مشكله تتطلب البت الحاتم السريع عملا بالمبدا الذي نادي والذى اشرنا اليه سابقا وان تقوم انجلترا بتنفيذ سياساتها_ اول سالتها كما تدعي_ من وراء" ستار" حجاب فلا تظهر الا اذا استلزمت الظروف القاهره وذلك و عندئذ يجب ان يظهر الانجليز_ اذا فعلوا_ بمظهر الساده ويؤيد هذه الحقيقه ما جاء في رساله كرومر الى لورد روزيري وزير خارجيه انجلترا في ١٦ مايو سنه ١٨٨٦ ان جميع اعمال الجهاز الحكومي لا تعتمد على التعليمات مكتوبه بل على النفوذ الشخصي الذي يتمتع به القنصل العام الشخصي وما ينال كذلك من مساند النفوذ

الادبي لحكومه لندن ولا يكفيان وحدهما بدون قوه الاحتلال العسكريه الانجليزيه لمنع انهيار الحكومه التي صار اصلاحها في مصر انهيارا سريعا مباشره او توفككها وانحلالها تدريجيا.

صفوة القول وقد اوضح كرومر مركزه في مصر في قوله اذا كان على ان اعمل كل شيء يتفق وعوده الحكم الذي يتولاه المصريون بينما كنت اعرف انه من الضروري ان يستمر الارشاد الاجنبي لفترة طويلة من الزمن اذا اريد للاداره ان تسير على قواعد سليمه وكان علي انا قبع في صومعتي السياسيه واستقر بها كاحد ممثلى الدول الاجنبيه ولكن كان على في اوقات اخرى انا ظهر الى الامام كممثل دوله حكيمه تضع مصر في قبضتها بجيشها وكان على ان احافظ على السلطه الانجليزيه وفي نفس الوقت ان اخفي بقدر الامكان حقيقة اني حافظ عليها وانا لدي قوه عسكريه استطيع استخدامها في الاوقات الطارئه الخطيره.

ولا جدال في ان معركه السيطره والنفوذ التي اثارها كرومر مع حكومه الخديوي حول اخلاء السودان كانت في نتائجها من العوامل الحاسمه في اثار اسلوب السيطره الحقيقيه غير المباشره عن محاولة تشكيل الحكومه من نظار(أو وزراء) من الانجليز ومن المعروف ان نوبار الف نظارته الثانيه في ١٠ يناير سنه ١٨٨٤ على اساس قبول النصائح والارشادات البريطانيه والالتزام باتباعها ولقد كان اساس تلك النصائح الالزاميه (اولا) البرقيه التي بعث بها جرانفل في الى الدول بتاريخ ٣ يناير سنه ١٨٠٠ والتي جاء بها انه وان كانت القوات الاجنبيه باقيه في مصر من الان لصيانة النظام فان حكومه جلاله الملك تنوي سحبها عندما تسمح بذلك حاله البلاد وتستطيع بوسائلها الخديوي و الى ان يحين ذلك فان مركز حكومه جلاله الملك ازاء الخديوي يقضي عليها اسداء النصح للتاكد من ان النظام الذي يوجد يكون مرضيا و يحتوي على عناصر الاستقرار والتقدم(وثانيا) برقيه جرانفيل التي بعث بها الى

اللورد كرومر بتاريخ ٤ يناير سنه ١٨٨٤ بصدد إخلاء السودان التي هدد فيها مركز الحكومه الانجليزيه في مصر عباره صحيحه إذ جاء بها" لا ارى حاجه الى ان واضح لكل كم انه من الواجب مدام الاحتلال الانجليزي المؤقت قائما في مصر ان تتاكد حكومه جلاله الملك من ضروره اتباع النصائح التي تسدي الخديوي المسائل الهامه التي تجتهد تستهدف فيها اداره مصر وسلامتها للخطر ويجب على الناظر والمديرين ان يكونوا على بينة من ان المسؤوليه الملقاه على عاتق الحكومه تضطرها الى اتباع السياسه وان حكومة جلاله الملك لواثقه من انه اذا اقتضى الحال استبدال احد المنظار هناك من المصريين من شغلوا منصب النظاره او شغلوا مناصب اقل درجه من هم على استعداد لتنفيذ الاوامر التي قد يصدرها اليهم الخديوي بناء على نصائح جلاله الملك وفي هذه الرساله هدد جرانفل بتعيين وزراء انجليز قائلا" ان تعيين وزراء انجليزي قد يكون ممقوتا جدا غير انه من الممكن ايجاد وزراء مصريين ونفذ والاوامر الخديوي تحت الارشادالانجليزي.

وعلى هذا بقيت من المفهوم ماذا تقصده الحكومه الانجليزيه من اعطاء نصائحها اذ ان وجود قوات الاحتلال وتسلط انجلترا على اداره البلاد اكسب تلك النصائح صفه الالزام وكما يقول منلر: انا نصيحه رجل مسلح في حوزته كل اسباب السلطه تكون اكثر من مجرد نصيحه بل هي بمثابه امر ولقد كان جيش الاحتلال هو الدليل الظاهري علي سيطره النفوذ الانجليزيه يلجا اليها المعتمد البريطاني في حاله الضروره وقد كان هذا الجيش عاملا هاما في الموقف وتاثيره الادبي يفوق قوته الحقيقيه فعلى حد قول ملنر : " انا وجود فرقه واحده بريطانيه تعطي اهميه عظيمه لنصائح القنصل العام الانجليزي لم تكن لها اطلاقا فهو سند الاحتلال ودعامته وكما يقول احد المعاصرين من الانجليز ان هذه التوصيات كانت في

ظاهرها نصائح وكانت تعد هكذا طلما يقبلها النظار المصريون وهو ما كان يحدث غالبا الا اذا رفضت فانها تتحول في هذا الحال الى اوامر.

وهكذا حدد سلطات الاحتلال سياستها اداء الخديوي الذي قبل مضطرا لذلك النظام الذي يحد بلا ريب من سلطته ويضعف استقلاله ان لم يكن يقضي عليه تماما وعلى هذا الاساس اقام الانجليز" حمايه" في مصر وان كانت هذه ليست كامله ولا شرعيه بل على العكس لم تكن الحمايه التي اقامها سافرا بال كانت حمايه لا يسعها هي نفسها ان تعترف بها ولا ان تطلب من غير الاعتراف بها او بعباره اخرى فقد كانت هذه الحمايه مقنعه غير محدوده السلطه ولا مموقوته باجل المعين و تاسست لتحقيق اغراض صعبه و بعيده المدى.

ولقد نجح في السياسه الكروميريه في فرض سيطره السلطه البريطانيه لكامله وحدها في مصر وساعده في ذلك في اول عهدها ان الخديوي محمد توفيق لم يكن يعنيه غير ما توهم انه استرداد لهيبه الخديويه التي اضاعتها الثوره العرابيه وذلك بالاعتماد على مساعده انجلترا(وقوه الاحتلال) له ولم يمنع تردد الحكومه الانجليزيه بين سياسه الجلاء والبقاء معتمدها السياسي في مصر من العمل على جمع كل اسباب السلطه الفعليه في يده فارح يعين بكل نظاره مستشارا انجليزيه كان مستشارا بالاسم مراقبا بالفعل ليستعين الناظر المصريون باراء هؤلاء المستشارين في الظاهر وليحكم هؤلاء الاخرون في الواقع فلا يبقى للناظر سواء عمليه البصمه والتوقيع فالمستشارون الانجليز وان كان في الظاهر اقل مرتبه من النظار المصريون الا ان النظار والوزراء المصريون كانوا عليهم ان يتعرفوا اراهم وان يدركوا ان هؤلاء المستشارين انما هم ممثلوا الدوله التي تحتل بلادهم وان نصائحهم ومشورتهم ليست مجرد نصائح ومشورة تسمع بل تسمع وتنفذ تم انه لم يكن من السهل التخلص من المستشارين بل

كان من المتعذر ان يدور في خلد اي ناظر(وزير) مصري مثل هذه الخواطر فيما عدا ثلاث كبيره في المعتمد البريطاني وهم ادواته الذين تحرك بهم الحكومه والاداره المصريه وعليهم ان يستلهموا افكاره وينفذوا ارشاداته وتعليماته ولقد جعل نفوذه الطائفه مركز النظار المصريون حرجه للغايه حينما تعذر على هؤلاء النظار(الوزراء) المصريين معرفه حدود سلطاتهم الفعليه وساروا في الخارج اي امام الجمهور المصري مسئولين عن اعمال هؤلاء المستشارين الانجليزي انفسهم في داخل نظارتهم بينما قد انتقلت كل السلطه التنفيذيه الى ايدي هؤلاء المستشارين فعلا.

ولم يقتصر الحال على تعيين مستشارين من انجليز بالنظارات المختلفه بال اخذ كرومر يعين مفتشين في المديريات كانوا في الواقع هم المدير هم الحقيقيون وهكذا نفذت اداره الانجليز حتى في الشؤون المحليه. كما أن كرومر عمد الى اختيار كل ضعيف الاراده سهل الانقياد لملء الوظائف الحكوميه وذلك حتى تنعدم كل معارضة ومع ذلك فقد خضع هؤلاء المستشارون والمفتشون والمديرون والرؤساء الانجليز بالاسم للخديوي ونظاره بصفاتهم موظفين في الحكومه المصريه، وان كان رئيسهم الحقيقي هو اللورد كرومر الذي املى عليهم اراده الحكومه الانجليزيه وقام هؤلاء بتنفيذها باسم الحكومه المصريه وبفضل هذه السلطات الممنوحه للورد كرومر اذا طلقت يده في حكم البلاد ونشا عن ذلك النظام الحكومي الذي تحدث عنه سيدني لو فقال" نحن لا نحكم مصر وانما نحكم حكام ، ووصف الحكومه التي اوجدها النظام الكروميري بانها حكومات تسير بالتفتيش والنصائح الالزاميه.

الصدام بين نوبار وكيلفورد لويد:

ولقد كشف الصدام الذي وقع بين الحكومه وسلطات الاحتلال و هو الاول من نوعه وذلك بعد تاليف وزاره نوبار سنه ١٨٨٤ بشهور قليله عن حقةي الاساليب الكوريه التي كانت لا تزال في طور التكوين وقتئذ وسبب هذا الصدام ان كروومر اراد تعيين مستر كليفورد لويد وكيلا لوزاره الداخليه وكان هذا قد عمل لمده ٦ اشهر مفتشا للاصلاحات بوزاره الداخليه في غضون عام ١٨٨٣ فاشتهر بتصرفاته الشاذه المتناقضه ومع هذا قبل نوبارت تعيينه واخذ على عاتقه اقناع الخديوي بقبوله و بذل بالفعل جودا عنيفا حتى صدر الامر بتعيين وكيل داخليه في ١٠ يناير ١٨٨٤ ولكن سرعان ما اتضح ان تعين كليفورد لوريد مأساة كبيره فقد استاثر بكل سلطه واخذ يصدر مختلف الاوامر من غير الرجوع لناظل الداخليه" محمد ثابت باشا" وايده كرومر تأيدا مطلقا ولم يمض على تعيينه شهران حتى اضطر ناظر الداخليه ان يقدم استقالته الى خديوي في ٨ مارس ١٨٨٤ وكان استقاله مسببه جاء فيها انه قبل الانتظام في هيئه الحكومه على امل ان يقوم بخدمه وطنيه العزيز ولكن رأى أن اماله قد حبطت وان ليس من الممكن تحقيقها لا في الحال ولا في الاستقبال وفضلا عن ذلك فقد علم من قرائن الاحوال ان ليس في وسع المحافظه انا شرف المصلحه في ما بعد وتولى نوبار بنفسه نظاره الداخليه ولم يمض وقت طويل حتى تبين له بالدليل بعد الدليل انه بالرغم من كونه رئيسا لمجلس النظار لا حول له ولا قوه وكذلك في تلك النظاره ان سلطات كليفورد فوق سلطانه ولقد مضى كليفورد لويد في تصرفات العجيبه الشاذه مستندا الى تاييد كرومر له حتى ادي ذلك الى اختلال الامن و انتشار السرقه وعمال الفوضى ولا سيما في الاقاليم واشتدت وتفاقمت الازمه واستحكمت حلقاتها بين لويد ونوبار ثم انتهت باستقالته لويد الذي غادر البلاد في ٢٨ مايو ١٨٨٤ و كانت ازمه من ازمتين حدثت في سنوات الاحتلال الاولى ايام الخديويه(محمد توفيق).

ازمة رياض بشأن اصلاح القضاء الوطني :

امـا الثانيـة فحـدثت ايـام نظـارة ريـاض التـي خلفـت وزراة نوبـار فـي يونيـه ١٨٨٨ وكـان سـبنب الازمـة تـدخل الاحـتلال فـي شـئون اصـلاح القضـاء الـوطني فقـد بـدأ كرومـر بادخـال قضـاة مـن الاجانـب فـي المحـاكم الاهليـة ثـم اراد تعيـين أحـد القضـاة الانجليـز مستشـارا لنظـارة الحقانيـة ليشـرف علـي اصـلاح نظـام القضـاة الاهلـي فوقـع اختيـاره علـي مسـتر جـون سـكوت وفـي ٥ فبرايـر ١٨٨٩ صـدر المرسـوم الخـديو بتعيينـه مستشـارا قضـائيا وسـرعان مـا ثـار النـزاع بينـه وبـين ريـاض بسـبب اقتـراح سـكوت اجـراء تغيـرات هامـة فـي تظلـي المحـاكم رأي فيهـا ريـاض انهـا سـوف تطـيح (بعـدد كبيـر) مـن المـوظفين فـي اعمـال القضـاء فـاعتبر ريـاض هـذا تـدخلا لتقييـد سـلطة الحكومـة واوعـز الـي نـاظر الحقانيـة حسـين فخـري باشـا ان يكتـب تقريـرا ينـدد فيـه بمقترحـات المسـتر سـكوت فثـارت الازمـة فـاعتبر كرومـر انهـا تـدور حـول اظهـار سـيطرة الاحـتلال ازاء السـلطات الوطنيـة فاستصـدر مـن حكومتـه تعليمـات تخـول لـه الاصـرار علـى تنفيـذ توصـيات المستشـار القضـائي بحـذافيرها تعيـين صـاحبها مشـرفا علـي هـذا التنفيـذ واضـطر ريـاض باشـا الـي الاسـتقالة بعـد ان ابـي الخـديو مؤازرتـه خشـية الاصـطدام مـع العميـد البريطـاني وكانـت هـذه اخـر الازمـات التـي اثارهـا المستشارون الانجليز في هذا الدور الاول من ادوار الاحتلال.

. لـم يكـن كرومـر يأبـه لوجهـة نظـر المصـريون ونزاعـه مـع نوبـار واختلافـه مـع ريـاض يكشـفان عـن هـذه الحقيقـة رغـم ان هـذين الـرجلين كانـا الـى حـد كبيـر مـن مؤيـدي الاحـتلال البريطـاني لمصـر ولقـد اراد كرومـر تبريـر الصـرامة التـي عامـل بهـا نوبـار بقولـه " بـان ثمـة لحظـة

تجيء في معاملاتنا مع هؤلاء الناس من المصريين والمستوزرين لا معدي للانسان عن ان يكون فيها حاسما وسريعا في تصرفاته معهم .

توتر العلاقات بين نوبار وفنست :

ومع ذلك فقد سلك بعض الموظفين الانجليز في هذا الدور الاول من دعم السيطرة البريطانية مسلكا كان ممقوتا من حكومتهم ومن اللورد كرومر نفسه فيكتب لورد زوزوبري Lord Rosebery الي السيرافلين بارنج (كرومر) في ٢١مايو سنة ١٨٨٦ عن المستشار المالي سيرادجار فنسنت الذي ساءت علاقاته كثيرا مع نوبار " لقد كتبت الي فسنت اوبخه ورجائي ان يستفر الان ويذكر انه موظف لدي الحكومة المصرية وليس مبعوث العناية الالهية " واعترف بارنج (كرومر) نفسه للورد سولسبري بان بعض الانجليز في مصر موظفون اكفاء ولكن تنقصهم في بعض الاحيان المرونة العقلية اللازمة ولقد كان مسلك بعض هؤلاء يثير كثيرا من المصائب في طريق المعتمد البريطاني الذي حار امام كثرة استقالاتهم وفي كيفية ارضائهم وكان كثيرا ما يلجأ الي حكومته لتحد من غلوائهم.

الكروميرية والسلطة الشرعية :

لم يثر الخديو محمد توفيق الصعوبات او العراقيل في طريق سياسة دعم السيطرة الكروميرية لاعتقاده انه مدين الي سلطات الاحتلال بتوليه مسند الخديوية ولان ذكر الحوادث العرابية كانت لا تزال عالقة في ذهنه بل ان الخديو توفيق كان يعمل من جانبه علي تذليل ما قد يقوم من عراقيل في طريق هذه السيطرة حتي اثر عنه بانه الخديو الذي سمح لسلطات الاحتلال بادخال كل ما كان ترتأيه من اصلاحات علي الادارة المصرية وبالرغم من أي معارضة قد تقوم من جانب النظار (الوزراء) المصريين لسبب او اخر فاعتمدت سلطات

الاحتلال علي اخلاصه و تأييده لها في تنفيذ سياسة " الاصلاح التي اضطلعت به " وسار كرومر لا يأبه طيلة تولي الخديو محمد توفيق مسند الخديوية لمعارضة النظار من طراز معارضة رياض او نوبار – في دعم تلك السيطرة -

وبوفاة الخديو محمد توفيق انتهي اول دور من ادوار تكوين سياسة السيطرة الكروميرية اذ لم تلبث ان بدأت بتولية الخديو عباس حلمي الثاني سلسلة من التجارب الجديدة في سياسة الاحتلال الكروميرية نقلت الازماث من محيط النظارات الي مستوي اعلي فلم تعد هذه ازمات يثيرها المستشارون الانجليز مع النظار المصريين ولكن ازمات يثيرها الاصطدام بين الجالس علي عرش الخديوية وبين العميد البريطاني رأسا الذي يمثل الاحتلال في مصر.

تولي عباس حلمي الثاني مسند الخديوية وهو شاب لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره وكان جرئيا واسع الامل كبير الحماس ميالا للحكم الشخصي معتد بنفسه يعتقد في حقه الصحيح في ان يحكم البلاد دون مساعدة من جانب انجلترا او توجيه متها وتحدوه تلك الرغبة" في ان يتولي مقاليد الحكم والسلطة لا ان يكون مجرد دمية في يد سلطات الاحتلال وكان مصريا بحتا كما حكم عليه كرومر منذ لقائهما الاول ينعي علي ابيه ضعفه واستسلامه للانجليز و ضعف سياسته التي قامت علي التعاون مع سلطات الاحتلال فنفخ في مصر روحا جديدة من الوطنية والشجاعة قوت امل المصريين.في الاستقلال وجعلتهم يجرؤون علي مناهضة الاحتلال.

وكان عباس يريد ان يحكم مصر وفقا للفرمانات السلطانية أي في ناطق الوضع الذي" اقرته الدول الباشوية(الخديوية) المصريه منذ تسويه المساله المصريه المعروفه في سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤١ على اساس ان في هذا الوضع القانوني والدولي السليم يمنع عند انجلترا

انتحال اية حقوق مزعومه لها من اجل التدخل بطريق سلطات الاحتلال في شؤون الاداره المصريه ولكي يتثنى له اقصاء التدخل الانجليزي كان اول ما افكر في عباس عندما تولى الحكم ان يغير حاشيته الذين وورثتهم عن ابيه والذين الفوا" ان يذلوا انفسهم يمتهنوا كرامتهم اما سلطات الاحتلال وممثله في مصر" ثم عمد عباس الى استماله اهل مملكته اليه فدأب منذ وان تبوأ مسند الخديويه على استقبال طوائف الشعب المختلفه كل شهر مرتين كما اصدر عفوا شاملا عن عدد غفير ممن اشتركوا في الثوره العرابيه ورد اليهم اعتبارهم واعادهم الى خدمه ثم راح يطلب خروج الجيش الانجليزي من القلعه وصار يحرص على الاتصال بالمديرين مباشره دون الرجوع الى كرومر كما جرت العاده ايام ابيه توفيق واتفقت كلمه المعاصرين على ان عباسا في هذا الدور الاول نجح في بث شعور الكراهية ضد الانجليز في قلوب المصريين وحرك همة مواطنينه حتى اخرجهم عما ركنوا اليه من فطور واستلام ورسم لهم طريق المقاومه بجرأته في تحدي الانجليز حتى صار هذا التحدي بمثابه تيار من الكهرباء سرى في جميع افراد الشعب وجعلهم يشعرون بانهم امة يجب ان يستقلوا بامورهم ولذلك فقد التف المصريون حوله وراح يخلصون له الولاء حتى ان كرمر نفسه لم يلبث ان يعترف بما كان من نفوذ عباس حين كان واضحا اعتقاده بان المبادئ العرابيه بدات في الظهور حتى اسم جديد هو الخديويه باعتبار ان الخديوي متزعم هذه الحركه الجديده مع فارق واحد وهو ان الخديوي نفسه في هذه المره قائد الحركه ولقد اشار السيد محمد رشيد رضا وهو مؤرخ الاستاذ الامام محمد عبده الى اثر الخديوي في الحركه الوطنيه فقال" من انصاف التاريخ ان ذكر هنا افضل محاسن هذا الامير الكثير وقد ذكرت مساوئه– حتى لا تكون المساوي هي التي تستقر وحدها في نفس قارئ هذا الكتاب وهو ظلم: اول من عرف الناس من محاسنه ما يسمى في عرف هذا العصر الوطنيه.

لم يرق ذلك في نظر كرومر الذي راى في الخديوي عباس اكبر عقبه لم يتوقعها واخطر الصعاب التي صادفها لتعطيل سياسته (دعم السيطره الكوميريه) ومن اول لحظه خامر كرومر الشك في نيات الخديو وكان في رأيه ان الخديوي لم يبتدع هذه السياسه القوميه المصريه الا ليتخذ منها وسيلة لارضاء مطلامعه الشخصية ولمضايقة انجلترا وشعر كرومر ان الخديو قد زاد ضجرة من بقاء الموظفين الانجليز فى مصر ومن السلطة الكبيرة التي يتمتعون بها ولذلك فقد ادرك ان الصدام مهما تأجل لا محالة واقع بينه وبين الخديو ولم يلبث ان وقع هذا الصدام فعلا عندما اقال الخديو نظارة (وزراة مصطفي فهمي من الحكم) ومصطفي فهمي مصروف بصداقته للانجليز ويثق كرومر فيه ثقة كبيرة علي اعتبار انه الوزير الذي تنشده انجلترا لتنفيذ سياستها دائما فكان هذا الصدام اول دور من ادوار النزاع الخطير الذي وقع بين الخديو صاحب السلطة الشرعية في البلاد وكوومر ممثل سلطة الاحتلال وصاحب السلطة الفعلية.

ازمة الوزارة :

رأي كرومر في اقالة النظارة الفهمية قلب لميزان السلطة ومحاولة من جانب الخديو لتسديد ضربة قاصمة الي النفوذ الانجليزي وبتفويضن دعائم المنيطزة المفوضة علي دولاب العمل فاعترض اعتراضا شديدا علي مسلك الخديو كما انه صمم على انتهاز الفرصة لتلقين الخديو كما قال درسا لن ينساه فاحتج كرومر احتجاجا شديدا وخاطب حكومته في هذه المسألة مشيرا الي العواقب الوخيمة التي سوف تتشأ حتما لو أن الخديو ترك يتصرف في امور الحكم ويفعل ما يشاء وفي نفس الوقت لم يعترف كرومر بنظارة (وزراة) فخري باشا التي عينها مكان النظارة (الوزارة) المقالة ووجدت الحكومة الانجليزية من الخير الوثوق في حكمة

كرومر والمبادرة الي تأييد معتمدها في مصر تأييدا تاما مما اضطر الخديو عباس الي التراجع ثم الموافقة علي اقتراح كرومر بتعيين رياض باشا علي رأس نظارة (وزارة) جديدة وبذلك انتهت الازمة ولكن الي حين لان النفوس لم تهدأ ثانرتها وبقيت عوامل النزاع تختلج في النفوس ذلك ان كروم اعتقد انه لقن الخديو الدرس اللذي اراد ان يلقنه في رياض عونا علي ترويض عباس وكسر شوكته ولكن الذي حدث كان علي عكس ذلك فلم يسلك رياض الطريق الذي يزيده كرومر ويرضي عنه من حيث ضرورة استماع النظارة (الوزارة) المصرية الي ما يقدم لها من نصائح والعمل بها بل لم يلبث ان انقلب رياض مؤازرة الخديو ومظاهرته في موقفه العدائي من انجلترا فمنع الموظفين الاجانب ممن جرت العادة بحضورهم مجلس النظار من حضور هذا المجلس وقرر أن يجعل اللغة العربية هي لغة التعليم في المدارس الاميرية بعد ان كانت معظم الدروس تلقن باللغة الانجليزية كما كثر الصدام فيى عيده بين الموظفين المصريين والانجليز .

ولذلك فان كرومر سرعان ما اعتقد ان رياضا لم يعد من أصدقاء انجلترا الذين يخلصون لها الو لاء وان الخديو لم يسلك ذلك المسلك العدائي ازاء سلطات الاحتلال الا لاعتقاده ان الحكومة الانجليزية التي كانت تتولي مقاليد الحكم اذ ذاك (جلادستون) كانت علي وشك ان ترخي قبضتها عن مصر فعندئذ عمد كرومر الي استخدام القوة كعادته وعادت رجال الاستعمار عموما فطلب من حكومته فيما اراد تأييدا كاملا في ٢٣ يناير سنة ١٨٩٣.

ازمة الحدود سنة ١٨٩٤

لم يمضي وقت طويل علي ازمة النظارة (الوزارة) الفهمية حتي كان قد بدأ الدور الثاني لأزمة العلاقات بين كرومر وذلك حينما زار عباس الاستانة في صيف ١٨٩٣ علي

امل الظفر بتأييد الدولة العثمانية له في مطالبه ولكن دون نتيجة ولقد كانت الزياة من العوامل التي ساعدت علي نفاذ صبر كرومر وضيق صدره فهو من جهة تزداد مخاوفه من طموح الخديو الشاب ويري في هذا الطموح خطرا كبيرا علي مركز انجلترا في مصر وهو من جهة اخري يزي ان النظارة (الوزارة) رياض اصبحت عاجزة عن الحكم لان رياض الي جانب كراهيته للانجليز يدس لهم ويعمل علي تأبيد الخديو ضدهم وتثور ثائرة كرومر الي درجة لا يستطيع معها كبح جماح نفسه حين ينتقد النظام الذي وضعه الضباط الانجليز للجيش المصري ابان زيارته المشهورة للحدود (الجنوبية) في ٩ يناير سنة ١٨٩٤ فيحتج كتشنر سردار الجيش المصري احتجاجا يقرنه بتقديم استقالته وعندئذ يجد كرومر االفرصة سانحة ليوجه للخديو لطمة قوية جديدة فيطلب من رياض ان يقدم الخديو اعتذارا رسميا ينشر في الصحيفة الرسمية ويهدد بخلعه ان لم يفعل فيضتطر الخديو للاذعان وتنشر الوقائع الرسمية امرا باللغتين العربية والفرنسية يبدي فيه الخديو رضائه عن حسن حالة الجيش ونظامه ويثني على الضباط الانجليز الذين يرأسونه ويعترف بالخدمات الجليلة التي يؤديها هؤلاء وعلي رأسهم كتشنر سردار للجيش المصري.

ولكن هذا الموقف العنيف والتحدي السافن من جانب لورد كرومر لصاحب السلطة الشرعية في البلاد لم يضعف بحالمن الاحوال من قوة الحركة الوطنية ،ومن ثقة المصريين بانفسهم ومستقبلهم بل زادهم هذا التحدي قوة واستمساكا بمطالبهم . ثم ان الاصطدام بين كرومر والخديو كان يزيد دائما من عطف المصريين علي الخديو وحبهم له هذا الي جانب ان الخديو لم يكن يدع فرصة للاتصال بالشعب تمر دون انتهازها وذلك ليزيد من تسك الشعب وتعضيده له.

ولـم تكـن سـنوات الاحـتلال الاولـي مواتيـة لنمـو الحركـة الوطنيـة لان النـاس كـانوا قـد انشـغلوا عنهـا بمـا وقـع مـن أحـداث فشـل الثـورة العرابيـة واحـتلال الانجليـز لـبلادهم ففتـرت الحركـة زمنـا وركـدت ريحهـا وقـد دهـا النـاس خطـب الاسـتقلال الاجنبـي فـامتلات قلـوبهم رهبـة مـن السياسـة وهيبـة مـن الاشـتغال بهـا لا سـيما وان كـل اسـباب السـلطة كانـت قـد انتقلـت الـي ايـدي سـلطات الاحـتلال امـا هـذا الركـود الـوقتي فقـد جعـل سـلطات الاحـتلال تعتقـد خطـا ان سـكوت المصـريين واسـتاكانتهم علامـات علـي رضـاء أهـل الـبلاد وعـن الادارة البريطانيـة وعلـي رغبـتهم فـي بقـاء الاحتلال البريطاني.

تكوين الحزب الوطني وحزب الامة :

ومـع ذلـك فقـد تضـافرت عوامـل شـتى الـى تفشـي روح التـذمر ضـد الاحـتلال والـي الاسـتياء منـه ولـم تلبـث ان انهـت هـذا السـكوت وهـذه الاسـتكانه الظاهريـة وعاونـت علـى تكـوين الحـزب الـوطني الـذي تـزعم الكفـاح الـوطني ضـد الانجليـز. امـا اول هـذه العوامـل فكانـت سـخط طبقـة الحكـام السـابقين مـنهم الاتـراك والشـراكة علـي علـى الاحـتلال ان الاحـتلال سـلبه حقـوقهم وامتيازانهم السابقة.

وثـاني هـذه العوامـل مـا أحدثتـه السياسـة الاسـتبدادية ومـا اثـاره الحكـم المطلـق الـذي كـان يتمتـع بـه كـومر مـن حيـث الاسـتئثار بالسـلطة دون الخـديو صـاحب السـلطة الشـرعية مـن رد فعـل بـين المصـريين ضـد الاحـتلال وثالثهـا تغاضـي سـلطات الاحـتلال عـن مـنح المصـريين أنظمـة نيابيـة صـحيحة مـن نمـط الـنظم النيابيـة الانجليزيـة وتقـاعس سـلطات الاحـتلال عـن مـنح المصـريين قسـطا مـن التعلـيم العـالي وجعـل اللغـة العربيـة وسـيلة للتعلـيم بالمـدارس بـدلا مـن اللغـة الانجليزية. وقد ادارت الحملة العنيفة ضد الاحتلال وقتئذ صحيفة المؤيد التي كانت قد تأسست

فـي أول ديسـمبر سـنة ١٨٨٩ ويـرأس تحريرهـا الشـيخ علـي يوسـف . هـذا الـي جانـب انتظـام مـوظفي الحكومـة المتـذمرين والمتعطشـين للترقـي الـي المناصـب العليـا التـي يسـتأثر بهـا الانجليـز دون المصـريين فيمـا يعـرف باسـم الجمعيـة الوطنيـة اتخـذت مركزهـا فـي القـاهرة و النـي كانـت مؤسسـة اصـلا كحمعيـة خيريـة كثيـرا مـا كانـت ننـاقش فيهـا المسـائل السياسـية واشـتهرت فـي السـنوات (التسـعينات) مـن القـرن الماضـي بحملتهـا العنيفـة ضـد الشـوام والـي الـذين تولـوا المناصـب فـي هـذه الحقبـة بمعاونـة الاحـتلال وكـان شـعار الجمعيـة مصـر للمصـريين وصـار لهـا فـروع فـي المنصـورة والزقـازيق ولقـد سـاهمت النهضـة الصـحفية والتحسـينات الماديـة الملحوظـة فـي ظـروف الحيـاة وقتئـذ فـي احـداث تغبيـرات فـي الموقـف ازاء سياسـة الاحـتلال حينمـا بـدأ المصـريون المتعلمـون يهتمـون بالسياسـة واسـترعي قـراءنهم للصـحف انتبـاههم لمشـكلاتها وأغـرنهم المقـالات الحماسـية التـي دأبـت (فـي هـذه الحقبـة) الصـحف العربيـة والفرنسـية والايطاليـة علـي نشـرها علـي الاهتمـام بالسياسـة ثـم لـم تلبـث ان تكونـت جماعـات مـن المصـربين المتعلمـين اتحـدت اتجاهاتهـا (المعاديـة) نحـو الاحـتلال ومواقفهـا منـه وان تفرقـت الـي شـيع تحـت لـواء مختلـف الزعمـاء الـذين تصدروها وكانت هذه " الجماعات " النواة الاولي لتكوين الحزب الوطني.

اسـتغل مصـطفي كامـا هـذة المعارضـة ضـد الانجليـز وعمـل علـى تكـوين حـزب وطنـي منـاويء لانجلتـرا بتشـجيع مـن الخـديو فـتم تأسـيس هـذا الحـزب سـنة ١٩٠٠ كمـا عاونـه علـى اصدار مجلقو اللواء وذلك لمقاومة سلطات الاحتلال ولمطالبة انجلترا بالجلاء عن مصر .

حادث طابا :

لقـد اسـتغل مصـطفي كامـل مـا ثـار مـن نـزاع حـول حـادث طابـا سـنة ١٩٠٦ بـين تركيـا وانجلتـرا لتشـديد الحملـة علـي صـفحات اللـواء ضـد الاحـتلال كمـا شـدد مصـطفي كامـل النكيـر علـي

سياسة كرومر واخذ ينددد بسياسته نحو التعليم وكان مصطفي كامل اول من تبني فكرة انشاء جامعة مصرية (في ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٤) وفي وقت كانت الحملة فيه قائمة بزعامة قاسم امين تطالب بمنح الفتاة المصرية حق التعليم واستطاع مصطفى كامل بقو ة شخصيته او يوحد طوائف الامة من مسلمين واقباط ليواجه الاحتلال بجبهة متحدة كما ظل علي اتصال بالخديو مدة طويلة ونفر من الاصطدام معه علنا في الاوقات التي لم يستطع فييا الاحتفاظ بالعلاقات الحسنة معه لادراكه ان في الفرقة والخلاف فائدة لانجلترا .

حادثة دنشواي :

ولقد كان لحادثة دنشواي وهي الحادثة التي وقعت في ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ أكبر الاثر في تفويض دعائم العهد الكروميري فقد هزت أركان الحكم المطلق الذي كان يمارسه كرومر ووجدت فيها النركة الوطنية معينا لا ينضب للحملة علي سياسة انجلترا حملة عنيفة ففددت بالسياسة الانسانية المزعومة التي يدعيها الانجليز ونددت بمهتهم الحضارية الموهومة ولقيت الحضارة الوطنية تجاوبا لدي الفلاحين المصريين الذين اوغرت صدروهم القسوة التي استخدمت في حادث دنشواي والتي لا يستطيع تبرير ها وكتاب مصطفي كامل الذي وجهه الي الامة الانجليزية والي العالم المتمدين قاطبة مشهور معروف بسط فيه صاحبه اساليب القسوة التي ارتكبت مع المتهمين الذين نفذ فيهم حكم الاعدام في يوم من ايام التناهي في الهمجية والوحشية ويسال الامة الانجليزية ويسأل العالم المتمدين ما اذا كان التسامح مقبولا في اغفال مباذيء العدل والشرئع الانسانية فلم يمض عام واحدا بعد هذا الحادث حتي قدم كرومر استقالته من منصبه فخلفه سير الدون غورست الذي انتهج سياسة جديدة ازاء الخديو ترمي الي ايجاد جو من التفاهم والاتفاق بين الخديو وسلطات الاحتلال وتلك سباسته سرعان ما ادت الي

افساح المجال امام الخديو عباس ليحقق من اغراضه ما لم يكن يستطيع تحقيقه في عيد المعتمد البريطاني السابق.

تكوين حزب الامة :

وكان كرومر قد راي انتهاج خطة جديدة ليتمكن من كبح جماح حملات الجزب الوطني عليه وعلي الاحتلال معا فاخذ يعمل علي تحريض جماعة من ذوي الاعتدال في الرأي بين المصريين الذي يدينون بمبدأ التعاون مع انجلترا علي تاسيس حزب جديد ينشر ارائهم ويروج لمبادئهم اكن من نتائج مساعيه الحزب المعروف باسم حزب الامة في اكتوبر سنة ١٩٠٧ وهو الحزب الذي تأسس بعد ان غادر كرومر البلاد وكان يرأسه في أول الامر حسن عبد الرازق وعندما توفي تولي رئاسته محمود سليمان ولقد أصدر صحيفة يومية تدعي ' الجريدة " ويرأس تحريرها محمد لطفي السيد . وهكذا استطاع كرومر ان يستغل مخاوف عدد من اثرياء مصر الذين لم يكونوا راضين عن دعاية الحزب الوطني العنيفة ضد الاحتلال والذين يعارضون ازدياد النفوذ التركي وليحملهم علي تكوين حزب الامة بتشجيع وتأييد الناظر مصطفي فهمي وكا امعانا منه فى نقوية الر ابط بين المصريين والانجليز في المصاالح المختلفة ان عمل كرومر علي تعيين سعد زغلول باشا في(٢٦ اكتوبر سنة ١٩٠٦) ناظرا للمصارف بعد ان رفعت مصلحة المعارف الي مصاف النظارات وذلك علي امل ان يؤدي تعيين " مصري " فى ناظرة المعارف الي التخفيف من حدة الخركة التي قامت في البلاد ضد التعليم باللغة الانجليزية خصوصا واللغة الفرنسية والمطالبة بجعل اللغة العربية وسيلة للتعليم في المدارس والمعاهد ولقد نشد كرومر من تعيين سعد زغلول ان يشرك في الحكومة مصريا عرف بالكفاءة واستتارة الذهن كتجربة علي حد قوله لاسناد مقاليد الحكم الي ايدي الوطنيين

ولكن بالرغم من هذه المحاولة الظاهرة لتفتيت الحركة الوطنية لم تلبث ان زاد توجيه المطاعن الي سياسة الاحتلال الكروميرية التي افسدت التعليم وعطلت الحركة العلمية والذهنية وجعلت البلاد مزرعة واسعة تعمل لتمد انجلترا بالقطن وحسب الذي تحتاجه مضانعها دون نظر لتوفير وسائل مكافحة الامراض الناجمة عن التوسع في مشروعات الري الجديدة ودون تفكير في اصلاح حال الفلاحين الذين يكونون السواد الاعظم ورفع مستوي معيشتهم.

علي انه حينما تأسس حزب الامة كان الخديو عباس قد أخذ ينبذ ظهريا خطة مناونه الانجليز ولقد كان الخديو عباس يعضد الحركة الوطنية في صدر حكمة ولكن بدأ يشعر بضعف مركزه علي اثر اللطمتين القاسيتين اللتين وجههما كرومر اليه في حادثي اقالة النظارة الفهمية (١٨٩٣) وازمته الحدود (١٨٩٤) علي نحو ما سبق ذكره – واصبح'الخديو في حيرة من امره فهذه فرنسا وروسيا كانتا تعضدانه علي مقاومة النفوذ الانجليزي ثم هما تتخليان عنه عند وقوعه في الازمة واولئلك الذين كان اصطفاهم وقربهم منه ما لبثوا ان تخلوا عنه ولم يبق امام الخديو سوي بصيص من الامل في الاستناد الي مؤازرة السلطان العثماني (خليفة المسلمين) أو صاجب السيادة الشرعية لعله يجده عند الملجأ الذي يحميه من رومر وقد شجعه علي هذا الامل خطاب أرسله جده اسماعيل اليه في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٣ ذكر اسماعيل فيه ما قاله له السلطان عندما علم ان عباساالم يستطع بسبب الحالة السياسية في مصر الذهاب الي القسطنطينة لتقديم فروض الولاء فيما يلي :

" أنا راض عن الخديو وليكن متأكدا من عطفي السامي عليه وأنني أوافق كل الموافقة علي مسلكه كما انني واثق من عواطفه نحوي ولقداحسن صنعا عندما أخر رحيله الي القسطنطينية فذلك امر تدعو اليه الحكمة والحذر وانني اعرف ان ذلك لصالح الادراة التى

اسندت حكمها اليه وعندما يأتي الي هنا فأنني سأسر برؤيته وبجب ان يتأكد من احترامي ورعايتي له ولهذا فقد قام الخديو عباس بزيارة التنلطان في (يوليه سنة ١٨٩٣) وصحب معه في رحلته هذه وفدا من الاعيان والتجار والموظفين اوثنان من أعنا: مجلس شوري القوانين ومعهم معروض الي السلطان يلتمسون فيه منه النظر في امرهم مع ذلك الاجنبي الذي احتل بلادهم بحجج مموهة وقد رسخت قدماه فيها رغم وعوده المضللة بمغادرتها ولكن الخليفة العثماني ان ضعيفا لا حول له ولا طول امام سلطان الانجليز اذ طرح جانبا المسألة السياسية التي قدم من اجلها الخديو عباس وهي أن يمد السلطان يد المساعدة له ضد سلطات الاحتلال ويدور الحديث بين السلطان والخديو حول مسائل لا تمت الي السياسة بصلة ويكتب السفير البريطاني في القسطنطينية بصدد هذه الزيارة " ان السلطان نصح الخديو بطريقة ابوية ان يفوض امره الي الله ويرضى بما قسمه له ويثق بفضل الزمن محافظا على العلاقات الحسنة مع الانجليز" ويعلق كرومر في كتابه (عباس الثاني) على ما فعله الخديو من اصطحاب هذا الوفد الي القسطنطينية وقوله مهما كانت البواعث التي جعلت السلطان يعاملهم هذه المعاملة فلا ريب انهم نالوا ما يستحقون وان هذه العريضة (او الملتمس) كانت افضل فصل هزلي في قصة التأمر ضد الانجليز.

موقف الخديو من الحركة الوطنية :

ولقد بدأ الخديو قطعا يعيد النظر في موقفه من الاحتلال بعد حادثتين هامتين اولهما فاشودة (١٨٩٨) اذ راي فيها اكبر صدمة سياسية اصابت الحركة الوطنية ودليل اكبر علي ان فرنسا لاتنوي معارضة انجلترا في احتلال مصر و التصرف فيها كما تشاء ودليل علي نية انجلترا في داوم احتلالها لمصر والسودان وتذكر مدام ادم جوليت في رسالة منها الي مصطفي

كامل عن حادث فاشودة " لقد كان لها تاثير كبير في موقف الخديو اذ اخذ يذعن للامر الواقع ويتودد للاحتلال وكان اول مظهر لهذه السياسة زيارة الخديو للندن في العام التالي (١٨٨٩) وفي ٢ يؤنيه سنة ١٩٠٠ كتب مصطفي كامل في راسلة منه الي مدام ادم جوليت يقول " لقد المنا كثيرا سياحة الخديو في لندن وما ذلك و اسفاه الا نتيجة فاشودة " ولقد كانت حادثة فاشودة فوزا كبيرا للاحتلال وبعثا لليأس في نفوس الوطنيين واعتقدوا بحق ان لا منجاة لمصر من الاحتلال بعد ان اذعنت فرنسا لسياسة الانجليزية في تلك الحادثة وتيقن الوطنيون وعلي راسهم الخديو ان فرنسا لم تأهب في معارضتها للسياسة الانجليزية الي حد اعلان الصرب ضد انجلترا فبدأ الخديو يعيد النظر في موقفه من الاحتلال اثر هذا الحادث واثر ابرام الوفاق الودي (ابريل سنة ١٩٠٤) بين فرنسا وانجلترا والذي بمقتضاه كفت فرنسا عن مناوأتها للاحتلال بعد ان وافقت انجلترا علي اطلاق يد فرنسا في مراكش في نظير موافقة الاخيرة علي اطلاق يد انجلترا في مصر.

ومن ثم ادرك الخديو ان لا جدوي من التمادي في معارضة النفوذ الانجليزي في مصر وبدأ يعمل في هذا الوقت علي تيسير علاقانه مع المعتمد البريطاني فبدا بأن صار يتخذ لنفسه من بين الانجليز اصدقاء يؤازرونه لدى حكومة لندن عندما كان واضحا ان كل معاونة بينه وبين لورد كرومر في القاهرة متعذرة فبدأت من ثم تجربة سياسة جديدة تقوم علي التعاون التام بين الجالس علي عرش الخديوية وبين ممثل سلطات الاحتلال . البريطاني. وبم يكد يرحل لورد كرومر من مصر ويخلفه سير الدون جورست حتى تنكر الخديو عباس للحركة الوطنية وانقلبت على رجالها يحاربهم وعدل عن تحمسه للمطالبين بالحياة النيابية لأنها لو تاسست لصارت قيدا علي ارادته محل القيد السابق الذي فرضه علي سلطانه ممثل الاحتلال البريطاني في بلاده.

ومـن الثابـت ان الخـديو عبـاس لـم يكـن يناضـل الكروميريـة مـن اجـل اقامـة حكومـة دسـتورية ترعـي مصـالح الشـعب ولكنـه يرمـي مـن وراء نضـاله لهـا الاسـتئثار بكـل اسـباب السـطة مـن دون الاحـتلال ولـيحكم حكمـا ارسـتقراطيا لحمتـه وسـداه أشـباع اطامعـه وانمـاء ثروتـه الخاصـة متـذرعا بأنـه يعـادي دولـة قويـة قـاهرة ولا يـدري هـل ينتهـي بظفره باخراجبهـا ام تظفـر هـي باخراجـه من خديويته.

ثانيا : سياسة الوفاق:

لا جـدال فـي ان سياسـة الوفـاق لـم تكـن مـن وضـع سـير الـدون جورسـت وحـده بـل ترجـع فـي أصـولها الـي عهـد كرومـر نفسـه حيـث ان الخـديو عبـاس كـان اول مـن وضـع قواعـدها وذلـك قبـل ان يؤكـدها ويتخـذها الانجليـز انفسـهم كطريقـة جديـدة فـي الحكـم بعـد انتهـاء العهـد الكروميـري اذ مـن الثابـت ان الخـديو عبـاس كـان قـد أخـذ يعيـد النظـر فـي موقفـه العـدائي ازاء سـلطات الاحـتلال بعـد حـادثين هـامين اولهمـا ابـرام الوفـاق الـودي بـين انجلتـرا وفرنسـا وثانيهمـا حـادث فاشـودة فقـد عمـد الخـديو عبـاس الـي تجنـب وضـع نسـه فـي ازمـات مـع سـلطات الاحـتلال منـذ حـادث فاشـودة واخـذ يتقـرب الـي سـلطات الاحـتلال ولـيس خافيـا ان الخـديو كـان قـد قـام بزيـارة للملكـة فكتوريـا فـي صـيف (١٩٠٠) واحتفـي بـه فـي لنـدن احتفانـا كبيـرا وقـد اسـتقبلته الملكـة فيكتوريـا شخصـيا واهـدت اليـه وسـام فكتوريـا الاكبـر وقامـت بتقليـده ايـاه امعانـا منهـا فـي اكـرام وفادتـه كمـا انعمـت علـي مرافقيـه ورجالـه حاشـيته باوسـمة ونياشـين والفـي الخـديو نفسـه خطبـة امـام الملكـة فكتوريـا اعـرب فيـه عـن املـه فـى ان تسـود العلاقـات الطيبـة بـين مصـر وانجلتـرا وان تسـير بخطي مطردة .

علـي ان ثمـة عامـل اخـر كـان لـه اكبـر الاثـر فـي تبـدل موقـف الخـديو العـدائي ازاء سـلطات الاحـتلال وانتهـاج سياسـة التقـرب مـن تلـك السـلطات واعنـي بـه مـا ثـار نـزاع بـين الخيـو والسـلطان حـول جزيـرة (طاشـوز) تلـك الجزيـرة التـي كـان قـد وهـب السـلطان الـي " محمـد علـي ' بموجـب فرمـان صـادر سـنة ١٨١٣ ولقـد ثـار النـزاع بشـأن تلـك الجزيـرة منـذ زيـارة الخـديو للسـلطان فـي سـنة ١٨٩٥ وذلـك لكـي يحصـل علـي اذن منـه لبنـاء قصـر لـه فـي تلـك الجزيـرة ليتخـذة مُضْـيْقا فـزفض السـلطان هـذا الطلـب رفضـا تامـا رغـم مـا بذلـه عبـاس مـن جهـود ووسـاطات لـدي السـلطان ولقـد ترتـب علـي هـذا الـرفض ان بـادر الخـديو عبـاس بقطـع اسـم السـلطان مـن الخطبـة ثـم بـدأ الخـديو يتبـع سياسـة جديـدة ترمـي الـي التقـرب الـي انجلتـرا كمـا صـرخ بـذل أحمـد خيـري مـدير الاوقـاف الخصوصـية الـذي ارسـله الخـديو الـي البـاب العـالي فـي سـنة ١٩٠٢ لعـرض مطالـب الخـديو الـي السـلطان بشـأن تلـك الجزيـرة – علـي ان يتـولي حكـم الجزيـزة وادارة الاوقـاف بهـا منـدوب مـن قبـل الخـديو او موظـف تركـي بشـرط ان يوافـق عليـه"" الخـديو دائمـا وعـلاوة علـي ذلـك فقـد عمـد احمـد خيـري – مـدير الاوقـاف الخصوصـية – الـي رفـض ضـريبة علـي المـاعز التـي تربـي بـالجزيرة تحـدوه الرغبـة مـن وراء ذلـك تقليـل اعـداد المـاعز بـالجزيرة واحجـام الاهـالي عـن تربيتهـا وذلـك لأنهـا تأكـل شـجيرات الزيتـون التـي يسـتخرج منهـا زيـت الزيتـون ولقـد أدى الأمـر إلـى أثـارة ثـائرة الاهـالي الـذين ضـجوا بالشـكوي الـي مـأمور الجزيـرة التركـي الجنسـية الـذي كـان قـد نصـبه الخـديو – وقبـل البـت فـي طلـبهم قـام الاهـالي بمظـاهرة قاصـدين مركـز الجزيـرة ادراة وحـدث صـدام بـين الاهـالي والقـوات التـي تحـافظ علـي الامـن بهـا وقتـل عـدد مـنهم فـانتهز السـلطان هـذه الفرصـة وارسـل جنـودا مـن قبلـه الـي الجزيـرة لاحتلالهـا بحجـة المحافظـة علـي الامـن فيهـا. وارسـل الصـدر الاعظـم خطابـا الـي الخـديو فـي ٢٧ صـفر سـنة ١٣٢٠ هـ الموافـق ٥ يوينـه سـنة ١٩٠٢ ينبئـه بضـرورة ابقـاء قـوة عسـكرية وتركيـة خـري مـن رجـال البـوليس للمحافظـة علـى اسـتتباب الامـن

امـا فيمـا يتعلـق بـايرادات الجزيـرة المخولـة للخـديو بمقتضـي فرمـان (١٨١٣) الصـادر لمحمـد علـي فـلا ينطـوي كمـا قـال الصـدر الاعظـم – علـي حـق هـذا (أي الخـديو) فـي ممارسـة الحكـم فـي هـذه الجزيـرة والـي جانـب هـذا فقـد اصـدر السـلطان امـرا بضـم معـادن الجزيـرة الـي خزينتـه الخاصة كما عين قائمقام قولة ليقو م بادارتها وبهذا ربطت تلك الجزيرة بولاية سالونيك.

وازاء هـذأ النـزاع بـين الخـديو والسـلطان تطلـع الخـديو إلـى مـؤزارة انجلتـرا فـي موقفـه هـذا مـن السـلطان فاتصـل بالسـفير الانجليـزي عنـدما كـان بالقسـطنطينية بـان يتمسـك بطلـب ارجـاع ادارة الجزيـرة والاحتفـاظ بـالوقف ولكـن بـاءت جهـوده بالفشـل وعنـدما عـاد الـي مصـر دون ان يحصـل علـي بغيتـه قابـل الخـديو سـير الـدون جورسـت المستشـار المـالي " الـذي كانـت تربطـه بعبـاس علاقـات وديـة ' فـي ١٦ اكتـوبر سـنة ١٩٠٢ واطلعـه علـي تفاصـيل الحـادث كمـا اظهـر الخـديو للـورد كرومـر عنـدما زاره فـي ٢٠ اكتـوبر سـنة ١٩٠١ رضـاءه عـن السـفير الانجليـزي بالقسـطنطينية وعزمـه علـي زيـارة لنـدن فـي الصـيف القـادم وصـرح بعزمـه علـي عـرض مسـألة ظاشـور علـي الحكومـة الانجليزيـة واسـتطرد الخـديو قـائلا بـان الحكومـة الانجليزيـة سـتطلب مسـاعدة اللـورد كرومـر فيهـا ومنـذ ذلـك الوقـت اتخـذ الخـديو سياسـة قوامهـا التقـرب والتـودد الـي انجلتـرا فـي اوائـل ديسـمبر سـنة ١٩٠٢ دعـا دوق كونـوت شـقيق الملـك ادوارد السـابع وزوجتـه لحضـور حفـل افتتـاح خـزان اسـوان ولقـد كـان لهـذه الزيـارة احسـن الوقـع فـي النفـوس اذ ان الخـديو أمعـن فـي الاحتفـاء بضـيفه فأنابـه فـي وضـع حجـر الاسـاس كمـا أنـاب زوجـة الـدوق فـي وضـع الحجـر الأخيـر فـي البنـاء بينمـا لـم يعـر " احمـد مختـار " منـدوب السـلطان العثمـاني فـي مصـر أي اهتمـام وفضـلا عـن ذلـك فقـد قـام الخـديو بزيـارة رسـمية الـي الخرطـوم حيـث اثنـي عـل أعمـال الانجليـز فـي السـودان وفـي العـام التـالي (يونيـه سـنة ١٩٠٣) قـام بزيـارة الـي لنـدن لكـي يحضـر حفـل زواج السـير الـدون جورسـت وقـد اسـتقبل بترحـاب عظـيم مـن الأسـرة المالكـة وكبـار رجـال

الحكومة الانجليزية وأعرب ملك الانجليز عن تمنياته وتكرار الزيارة كما رحبت جريدة التيمس التي اشتبشرت خيرا من نلك الزيارة والتي عدتها وقتئذ دليل علي الثقة وراحت تقول ' سواء اكانت زيارات سموه (أي الخديو) رسمية ام غير رسمية فهو دائما لدينا ضبف كريم ترحب به الامة ربما كانت زيارة عادية كهذه احب الي مجموع الامة واقرب الي ميول قلوبها لأن مثل هذه الزيارات تبرهن علي ارتباح قلبي للوجود بيننا وتدل علي الثقة اكثر من الزيارات الرسمية.

لم يقدر لهذه السياسة الجديدة التي انتهجها الخديو عباس الاستمرار ازاء اصرار كرومر علي تمسكه بخطته في ممارسة الحكم المطلق وازاء عدم تحرجه عن اهانة الخديو شخصيا كما حدث في حادث " ليون فهمي" والعمل علي اضعاف نفوذه كما حدث ابان النزاع الذي نشب بين الخديو والشيخ محمد عبده حول الاوقاف وكان من نتائج تلك السياسة التعسفية من جانب لورد كرومر مبادرة الخديو الي الانحياز سرا الي السلطان في حادث طابا كما كشف عن ذلك الرسائل السرية المتبادلة بين الخديو و القسطنطينية والتي تمكن الانجليز في مصر و القسطنطينية من الحصول علي صورها والتي تضمنت تاييد الخديو للسلطان الي جانب هذا فقد بدأ جليا تاييد الخديو لمشروع انشاء الجامعة المصرية وتحدوه الرغبة من وراء ذلك الكيد لكرومر الذي كان يعارض المشروع ثم مبادرتته الي ارسال مندوبين عنه هما احمد شفيق واسماعيل اباظة الي سعد زغلول اثر – تعيينه ناظرا للمعارف وذلك لأن الخديو كان يعتقد ان الغرض من تعيين (سعد زغلول) الذي كان قد اختير وكيلا للجمعية الاهلية المشرفة علي مشروع انشاء الجامعة – هو ابعاده عن المشروع وذلك لمطالبة سعد زغلول الذي قال وقتئذ " بأنه لن ينسي هذ المشروع " عمد الي تعيين الامير احمد فؤاد رئيسا للجنة المشرفة علي مشروع الجامعة.

ظروف تعيين جورست واسبابه :

لقد تضافرت عوامل ادت الي ان تعيد انجلترا النظر في سياستها في مصر من بين تلك العوامل ما أثارته اخطاء اللورد كرومر من سخط الاحرار جعل سياسة كرومر عرضة لانتقاد الراي العام في لندن وما أحدثه حادثة دنشواي من هزة عنيفة كان لها رد فعل عنيف وصدي كبير في الرأي العام العالمي عامة والبريطاني خاصة لم تلبث ان زلزلت اركان السيطرة الكروميرية التي كانأگرومر قد اخذ في تدعيمها وتقويتها ابان توليد مهام منصبه كمعتمد بريطاني ولقد القي حادث دنشواي علي عاتق كرومر تبعات جسام كان عليه هو و حكومته مواجهتها مبعثها من الناحية السياسية تقوية النزعة الوطنية علي اثر هذا الحادث و ايغار صدر الفلاحين من هول القسوة التي استعملت في تنفيذ الاحكام الصادرة ضد المتهمين وما تبع ذلك من تبديد ما ساد لدي سلطات الاحتلال وقتئذ من اعتقاد بأن الفلاحين (اصحاب الجلالبيب الزرق كما اطلق عليهم كرومو نفسه) محبون للاحتلال وموالون له للنعم التي اضافها عليهم على أنه إلى جلب هذا كان الموقف الداخلي في انجلترا نفسها قد تغير تغييرا ظاهرا حيث كانت تتولى الحكم في تلك الفترة حكومة من الاحرار الذين هدفت سياستهم إلي ادخال روح جديدة في السياسة المصرية علي اساس اجتذاب الخديو صاحب السلطة الشرعية في البلاد الي جانب سلطات الاحتلال بدعوى ان من شأن ذلك تخفيف حدة الراي العام المصري والشعور العدائي ضد الاحتلال و اضعاف الروح الوطنية ولا ريب في ان تقرير لورد كرومر السري الذي كان قد اعده متضمنا وضع خطة من شأنها ادخال اصلاحات اكثر

ديموقراطية كترضية لحادث دنشواي كان لها اثر كبير لدي الحكومة الانجليزية فلم بسع هذه الا ان تحزم امرها علي اقصاء لورد كرومر من منصبه ولم تلبث أن اوعزت اليه بتقديم استقالته ففعل كرومر ذلك متذعرا باعتلال الصحة في ابريل سنة ١٩٠٧ وخلفه السير الدون جورست-

وقع اختيار الحكومة علي شخص سير الدون جورست لسابق خبرته بالادارة المصرية فقد جاء الي مصر في سنة ١٨٨٦ ليعمل سكرنيرا بالوكالة البريطانية ثم عين في سنة ١٨٩٠ مراقبا للدخل لنظارة المإلية في سنة ١٨٩٢ وفي وكيلا لنظارة المالية ثم ما لبث ان عين مستشارا لنظارة الداخلية في سنة ١٨٩٤"ثم تبوأ اعلي المناصب الادارية التي كان يتولاها الانجليز في الأداة المُصرية اعني عبن مستشارا ماليا في سنة ١٨٩٧ولقد ساهم بنصيب موفور في المفاوضات بين انجلترا وفرنسا بشأن ابرام الوفاق الودي في سنة ١٩٠٤ ثم عين وكيلا لوزارة الخارجية الانجليزية سنة ١٩٠٤ علاوة علي ذلك وقد كانت العلاقان بين سير الدون جورست والخديو تتسم بالود وكان الاول موضع رضاء والاخير منذ الاعوام الاخيرة للعهد الكروميري ويكشف عن هذا ذهاب الخديو الي لندن سنة ١٩٠٣ لحضور حفل زواج سير الدون جورست وتقديم اثمن هدية له علي حد قول احمد شفيق " قدمت للعروس واخذ صورة للخديو متوسطا بين العروس وزوجه " .

كانت العلاقات بين الخديو جورست مشربة بالود منذ اواخر عهد كرومر اذ ان جورست قد سمح للخديو في عام ١٩٠٣) وكان وقتئذ مستشارا ماليا بان يشتري املاك الحكومه في مربوط باثمان زهيدة كما عاونه على الاثراء بوسائل اخرى علي حساب الحكومة وذلك في مقابل تحقيق بعض المشاريع المالية الانجليزية الكبري في مصر مثل اعطاء

امتيازات السكك الحديدية (مارس سنة ١٩٠٤) لشركة انجليزية يراسها ريفرز ويلسن على ان تدفع الشركة ٤٢ مليون من الجنيهات الاسترلينية وكان دخل لبسكك الحديدية انذاك ما يزيد علي ١١٦ مليون من الجبهات الي جانب ذللك ارتبط الخديو بعلاقات مالية مع أحد كبار الممولين الانجليز ومن اصدقاء ملك انجلترا وهو (سير ارنست كاسل) الذي كان قد اقرض الخديو مبلغ نصف مليون جنيه بفائدة خرها ٢,٥ % لاستغلاله وفي نظير ذلك منح جورست (المستشار المالي وقتئذ) اياه بعض الامتيازات المالية في مصر كالسماح لكاسل مثلا بشراء (١٠٠٠٠) فدان في الوجه البحري يتوج كل ذلك سخط ملك انجلترا علي كرومر وذلك لان الملك كان يريد ان يعمل كرومر علي معاونة سير ارنست كاسل في تنفيذ مشروعاته المالية في مصر نظرا لحاجة الملك الماسة الي الاموال التي كان يمده بها كاسل لسداد ديونه وكان كرومر غير راغب في مساعدة كاسل مما جعل ملك انجلترا ينقم عليه من كل هذا ينكشف لنا ان لا غلابة في ان يقع اختيار الحكومة الانجليزية علي شخص سير الدو ن جورست ليتولي مهام المعتمد البريطاني في مصر وكان ذلك في سنة ١٩٠١ لا سيما اذ ا عرفنا ان ملك انجلترا علي حد قول بلنت (كان قد وعده بتعيينيه سفيرا في يوم ما).

كانت اراء جورست السياسة ازاء الموقف الداخلي بمصر متفقة الي حد كبير مع سياسة حكومة الاحرار التي كانت تتولي مقاليد الحكم التي كان يشوقها اقتراح لورد كرومر نفسه القائل بانه من الممكن بانتهاء المنافسة الانجليزية الفرنسية منح الحكومة المصرية سلطات اكثز في المسائل المتعلقة بالسياسة الداخلية والادارة ثم انه كانت تحدو حكومة الاحرار وقتئذ الرغبة من ورا ء تنفيذ هذه السياسة تلقين المصريين المباديء الاولية للحكومة الذاتية عن طريق منحهم قسطا ضئيلا من المسئولية في الادارة.

ولقد كانت سياسة جورست تقوم علي اساس تحسين العلاقات بين المعتمد البريطاني والخديو أي بمعني التقرب اليه وترك بعض الحرية له و التخفيف من حدة الرقابة علي تصرفاته تلك الرقابة التي كان قد فرضها اللورد كرومر عليه ثم توسيع سلطات مجلس النظار واطلاق يد المصريين في ادارة شئون بلادهم وذلك عن طريق اسناد بعض المناصب الرئيسية في الادراة المصرية اليهم وتمصير الادارة تدريجيا أي عن طريق تحديد عدد المو ظفين الانجليز بالادارة المصرية وايقاف سياسة الجلنزة التي اسناد بض المناصب التي كانت قد قطعك شوطا بعيدا في عهد كرومر مع زيادة سلطات الموظفين المصريين بعض الشيء وان كان هذا لا يعني تخلي سلطات الاحتلال عن الرقابة الفعلية والاشراف الدقيق علي دولاب العمل فلا يتعدي ذلك المظهر وحده فقط من حيث قلب سياسة كرومر ازاء النظار والموظفين المصريين من ناحية الشكل ودون مساس بالجوهر مما سوف يكلفه التخفيف من حدة هذه الرقابة ولقد افصح عن هذه المعاني سير الدون جورست حيث قال عن الرقابة البريطانية في عهده انها (كانت محصورة علي قدر الاستطاعة في منح الارشاد في دواوين الحكومة المركزية وفي تفتيش اعمال موظفي الحكومة والوطنيين تفتيشا دقيقا.

والي جانب ذلك فقد كان من سياسة جورست السماح للمجالس النيابية الصورية الموجودة (مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية) بالتعبير عن رأيهما ثم انه كان يري ضرورة تنمية مجالس المديريات لاعتقاده بان النظم النيابية القائمة تمثل من اثرياء البكوات والبشاوات الذين يسعون لخدمة مصالحهم فحسب فقط ولذلك فقد اعتقد بضرورة توسيع نطاق قانون اول مايو سنة ١٨٨٣ تدريجيا وعلي قدر ما تسمح به درجة رقي المصريين في العلم والمعارف وكان من رأيه ان النظام النيابي الحقيقي لم يان او انه بعد في مصر وان مصر ان حاولت تجربته فسيؤدي ذلك حتما الي اختلال الحكومة المصرية وفقدان الثقة بها في الخارج.

بوادر سياسة الوفاق :

لقد كانت الظروف الداخلية في مصر في الفترة التي تولي فيها جورست مهام منصبه كمعتمد بريطاتي متباينة عن الظروف التي غادر فيها البلاد في سنة ١٩٠٣ ليتولي منصب مساعد وكيل وزراة الخارجية البريطانية فقد وجد عند عودته الان في (١٩٠٧) ان الرأي العام المصري قد صار متحفزا للمطالبة بالحكومة الدستورية وأن الحركة الوطنية قد زاهت قوة علي قوة ان سلطات الاحتلال بدأت تدرك جيدا ان الرغبة في الحرية ليست رغبة شرذمة قليلة من العدد بل أن كرومر نفسه قد اعترف قبل مغادرة البلاد بوجود حركة قومية مصرية متميزة عن حركة الجامعة المصرية التي شملت الكثير من اجزاء الشرقين الادنى والاوسط وان كان لحركة الجامعة الاسلامية (كما قال) اثر كبير على حركة القومية المصرية. ومع ذلك فقد ادعى كرومر بأن الحركة القومية التي ظهرت لا تمثل امال الشعب المصري وأن الشعور بالقومية شعور جديد بالنسبة للمصريين وذلك ادعاء لا اساس له لان الشعور بالقومية كانت له اصول ترجع الي عيد طويلة ماضية ولقد فعل كرومر ذلك في حين انه يعترف في الوقت نفسه بان هدف الحركة القومية كان في ان يترأس المصريون الي المناصب العالية أ التي يشغلها الانجليز بالادارة المصرية وان تنال البلاد نظما" نيابية حقيقية من نمط المجالس النيابية البريطانية وان تتقرر حرية التشريع ومسئولية النظارة وان يكون لتلك المجالس النيابية السيطرة العامة علي مالية البلاد ومن المعروف ان كرومر لم يكن يريد ان يعطي مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية سلطة تشريعية بل كان يريد انشاء مجلس دولي لا يتميز فيه جنس ولا دين يزود بسلطة أصدار القوانين التي تنفذ علي كافة السكان في مصر وذلك ازاء قوة الراي

العام المصري الذي كان يريد انشاء نظام نيابي صحيح ولكن فكرة كرومر هذه لم تجد تأييدا سواء من المصريين او الاوروبيين في مصر.

والي جانب تحفز الرأي العام المصري المطالب بالحكومة الدستورية كان الخديو نفسه وقت مجيء جورست (١٩٠٧) يتوق الي استعادة سلطته وهيبته التي كانت قد حطمتها السيطرة الكروميرية والحكم المطلق الذي اقامه كرومر كما كان الوطنيون يطالبون بالعودة الي الحالة السابقة للاحتلال من حيث منح البلاد حريتها وثمة عامل اخر جد علي الموقف هو زيارة الخدبو انجلترا في صيف ١٩٠٥ بعد ان لبث مدة طويلة لا يقصدها بسبب الجفاء الذي كان قائما بينه وبين الحكومة الانجليزية لموقفها السلبي من تصرفات كرومر التعسفية معه فقد خلفت هذه الزيارة اثارا طيبة كان من نتائجها ان صارت الحكومة الانجليزية ترفض الاراء القائلة بانه لا يمكن وضع الثقة في (الخديو) او تعترف – علي حد قول لويد – بان الحكم المطلق هو مثله الاعلي وان القوة الوحيدة القادرة علي كبح جماحة هي سلطة الانجليز واذا ارادات تتفيذ رغباتها فلا سبيل الي ذلك الا اذا اطلق كثير من حريته ولابد في الواقع من ان يستعمل هذه الحرية بطبيعة الحال لاخماد الحركة الوطنية للحيلولة دون الوسائل التي كانت تدبر للنهوض بالحكم الدستوري وكان جورست يدرك جيدا امكان حدوث هذا أي استخدام الخديو لمقاومة الحركة الوطنية والدعوة الدستورية لو تغيرت الطريقة التي يعامل بها الخديو وذلك من اجل تحويله عن عدائه لانجلترا وتفويض الحركة الوطنية التي يحمل لوائها الحزب الوطني بفصله عن هذا الحزب زد علي ذلك أن وجود جورست نفسه علي راس فريق من الموظفين الانجليز المتبعين بمباديء و أساليب كرومر السابقة – حتي لم يعد الموظفون المصريون يعرفون حدودا لسلطان هؤلاء المزفين الانجليز كان عاملا قويا في كباح جماح هؤلاء وارساء قواعد سياسة (الوفاق) في عهده.

ولقد زانت من صعوبات المواقف استياء الموظفين المصريين انفسهم بسبب سد ابواب الترقي امامهم وانتقاء أي امل لديهم في تولي أي منصب عال نتيجة تزايد عدد الموظفين الانجليز في الادارة المصرية.

ولقد كان جورست مراعاة كل تلك الظروف وتكريس كل ما في وسعه من جهد لتذليل يضادفه من صعب في سبيل تنفيذ سياسته التي انتهجها طوال المدة التي تولي فيها مهام منصبه كمعتمد بريطاني.

وسرعان ما اوقف جورست عادات سلفه اللورد كرومر – التعسفية واقام علاقات مشبعة بالود والتقرب الي الخديو وكان من باكورة اعماله النصح بالافراج عن مسجوني حادثة دنشواي وتم هذا فعلا في مناسبة عيد ميلاد الخديو فكان فألا حسنا ودليلا ظاهرا املموسا علي حسن نو ايا المعتمد البريطاني الجديد نحو الخديو الذي استبشر خيرا من هذا العهد الجديد.

ثم رأى جورجست توسيع اختصاصات وسلطات مجلس النظار وذلك عن طريق استبدال وسيلة تقوم على أساس من التعاون بين الموظفين المصرين والمستشارين الانجليز بوسائل كرومر الاستبدادية في الادراة المصرية فانتهج في ذلك السياسة تأليف نظارة جديدة لا تتهم بأنها صنيعة الاحتلال. ولقد كان جورست يعلم جيدا ان توسيع سلطات مجلس النظار معناه ارخاء الرقابة والسيطرة البريطانية ثم زيادة سلطات الخديو الاستبدادية لان الخديو كان الحاكم الشرعي للبلاد بمقتضي الفرمانات السلطانية والاوامر العالية ولان جميع اعمال الحكومة كانت تساس باسمه ولذلك فقد كان من المنتظر ان يترتب علي توسيع سلطات مجلس النظار استعمال تلك السلطات وفق مشيئة الخديو. ومع ذلك فقد كان جورست يرجو من انتهاج هذه السياسة ان يتخلي الخديو عن مؤازرة الوطنين فيؤدي ذلك الي اضعاف الحركة الوطنية لا

سيما وان فريقا من المفكرين الانجليز كان يعتقد ان موقف الخديو العدائي من سلطات الاحتلال لم يكن ألا نتيجة معاملة كرو مر له وعلى هذا الاساس نصح جورست مصطفي فهمي بتقديم استقالته "ومصطفي فهمي كان معروفا وقتئذ بمولاته للاحتلال وكان كرومر يعتمد عليه في تحقيق أهدافه حتي انه وصفه بأنه كان مؤمنا بان مصلحة وطنه في الولاء للادارة البريطانية لا معارضتها.

وقد تقدم مصطفي فهمي باستقالته في ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م وتم الاتفاق بين الخديو و المعتمد البريطاني علي تعيين بطرس غالي رئيسا لمجلس النظار رغم ما أثير حوله من اعتراضات فوافق جورست علي تعيينه وفي نظير ذلك عين محمد سعيد الذي كان يعتمد عليه الخديو الي حد كبير ناظرا للداخلية وتشكلت النظارة الجديدة برئاسة بطرس غالي. وتقرر ان يكون رئيس الناظر مسئولا امام الخديو. ويعتبر تعيين بطرس غالي رئيسا لمجلس النظار علي هذه الصورة صفحة جديدة في تاريخ العلاقات بين المعتمد البريطاني والخديو اذ سرعان ما تبدل موقف الخديو العدائي من سلطات الاحتلال وساد التفاهم بينه وبين ممثل الاحتلال وبدأ من ثم عهد جديد عرف بسياسة الوفاق وأخذت الامور تسير بهدوء بين الخديو والمعتمد وتوطدت العلاقات بينهما الي علاقة صداقة حقيقية بفضل اشراك الخديو مع المعتمد البريطاني في العمل واخذ استوت وترك الحرية له فى غلب الأحيان في اختيار نظاره وتوسيع سلطاته في الشئون العامة المتعلقة بمنح الرتب والنياشين العثمانية والمجيدية واطلاق يده في ادارة الاوقاف و التصرف في اموال العائلة الخديوية ويكشف عن تلك العلاقات الوطيدة بين الخديو و المعتمد سفر الاول الي لندن لزيارة الاخير عندا كان علي فراش الموت في لندن (١٩١١) وقول الخديو نفسه " لقد استطعت ان اقدر استقامته "-

" جورست " التامة وصواب حكمه وحياده المطلق وقد لتاح لنا ذلك ان يفهم احدنا الاخر منذ اللحظة الاولي وطبعة علاقتنا ثقة متبادلة.

تتميز تلك الفترة التي ساد فيها الوفاق بين الخديو والمعتمد البريطاني يتحول عن الوطنيين إلى ممالأة سلطات الاحتلال ولقد أفصح الخديو نفسه عن خطته هذه في حديث له نشر في جريدة الديلي تلغراف في مايو ١٩٠٧ أي اثر تولي سير الدون جورجست مهام منصبه إذ نفي عن نفسه تهمة العمل ضد الأحتلال وصرح بان المعتمد البريطانى لا يستطيع حكم مصر وحده انه مستعد للتعاون معه وانه لا فائده للمصريين من استبدال احتلال باحتلال وان الاحتلال البريطاني افضل من أي احتلال اخر وهكذا كما يقول احد المؤرخين- جهر اليوم الخديو برغبته في اشتراك المعتمد البريطاني في حكم البلاد حكما مطلقا.

وعلى هذه الصوره استقرت سياسه الوفاق بين الخديوي والمعتمد البريطاني وصار الخديوي يضيق ذرعا بنشاط الحزب الوطني ودعاواه للمطالبه بالدستور واستمراره في توقيع العرائض العامه بطلب المجلس النيابي عندما راى في هذه الحركه ما يعارض سياسه الوفاق واخذ يتنكر لزعمائه.

ويتكشف من هذا فكره جورست في التقرب من الخديوي قد اتت ثمرتها اذ ادت الى ما هدف اليه من تخلي الخديوي عباس عن مؤازره الحركه الوطنيه واتسعت شقة الخلاف بين الخديوي ووالوطنيين فاخذ هؤلاء الوطنيون يهاجمون الخديوي لوقف مناوأته لسلطات الاحتلال وصاروا يتهمونه بعدم الاخلاص وسرعان ما اتكشفت نوايا النظاره الجديده التي تشكلت برئاسة بطرس غالي وظهر جليا انها وليدة سياسة الوفاق التي هدف جورست من ورائها الي الانزواء ورائها الى الانزواء وراء النظارة وممارسة جميع سلطات الحكم الفعلي باسمها وأخذت هذه النظارة الجديدة في محاربة الحركة الوطنية بشتي وسائل العنف والاضطهاد.

ولـم تضـعف سياسـة التقـرب هـذه مـن حـدة الوطنيـة اذا سـرعان مـا اعتقـد الوطنيـون ان سياسـة ارخـاء الرقابـة التـي انتهجهـا جورسـت كـان مبعثهـا الضـعف الـذي انتـاب سـلطات الاحـتلال نتيجـة مهاجمـة الحركـة الوطنيـة لهـا والتنديـد بسياسـتها فـي مصـر وعنـدما أيقـن محمـد فريـد زعـيم الحـزب الـوطني مـن تحـالف الاحـتلال مـع الخـديو لـم يـر بـدا مـن ان يتصـدي لمقاومـة القـوتين معـا ولـم يبـال غضـبهما ولا تخالفهمـا ونشـطت الحركـة الوطنيـة تؤازرهـا الصـحافة الوطنيـة فـي مقاومـة الاحـتلال وفشـل جورسـت فيمـا هـدف اليـه مـن اتبـاع سياسـة الوفـاق الـى اعتقـد جازمـا انهـا سـتؤدي حتمـا الـي وقـف تيـار الحركـة الوظنيـة او علـي اقـل تقـدير ستضـعف مـن شـوكتها باعتبـار ان الخـديو هـو اسـاس المعارضـة وبـأن هـذه سـوف تصـعف بمهادنتـه الاحـتلال فيخفـت صـوت الحركـة الوطنية.

الوفاق والحركة الوطنية :

ولقـد انـتهج جورسـت سياسـة نحـو الصـحافة – التـي كانـت تـنهجن اعمـال النظـار المصـريين وتتـدد بسياسـة الاحـتلال فـي مصـر – مغـايرة للسياسـة التـي اتبعهـا سـلفه اللـورد كرومـر نحوهـا فـي اول عهـد الاحـتلال مـن حيـث (محاربـة الصـحافة بالصـحافة) اي عـن طريـق مـؤازرة بعـض الصـحف التـي انشـئت تحـت رعايـة الاحـتلال نسـفه بـل المقطـم والجريـدة وكـان كرومـر وقتئـذ لا يـري ضـررا فـي ان يتـرك للصـحافة المصـرية حريتهـا لاعتقـاده انهـا عـاجزة عـن ايجـاد راي عـام قـوي يكـون فـي معارضـته خطـرا علـي سـلطات الاحـتلال لكـن سـرعان مـا تبـين ان نظـرة كرومـر هـذه الـي الصـحافة محـل نقـد اذا وقعـت حـوادث نشـطت فيهـا الصـحافة نشـاطا هـائلا وعلـي وجـه الخصـوص فـي حـادثي طابـا ودنشـواي فضـاق كرومـر نفسـه ذرعـا بالصـحافة وأخـذ يحـذر الامـة مـن عواقـب خطتهـا السياسـية ورماهـا باثـارة التعصـب والاضـرار بمصـالح الـبلاد والـدعوة الـي الثـورة

والقي عليها تبعة زيادة جنود الاحتلال في مصر بعد حادثة طابا وما نجم عن هذا من زيادة نفقات الاحتلال وأثقال كاهل الميزانية ولقد زاد تبرم كرومر من الصحافة و سخطه عليها بعد حادثة دنشواي ولكن الظروف لم تهمل كرومر حتي يتخذ من الوسائل ما يكفل له قمع حرية الصحافة اذ سرعان ما اعنزل الخدمة في الظروف ألتي أشرنا اليها ووقع علي عائق خليفته " سير الدون جورست ' اتخاذ الوسائل التي ادت الي كبت حرية الصحافة وواتته الفرصة اثر حادثة " الكاملين " في السودان في يونية سنة ١٩٠٨ وتبرئة الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير اللواء مما نسب اليه.

اخذ جورست يفكز جديا في اتخاذ التدابير اللازمة لايقاف حملات تلك الصحف ووضع لنشاطها المعادي بعد ان ضاق النظار ومجلس شوري القوانين والجمعية العمومية وسلطات الاحتلال ذرعا بما كانت توجهه ابي اعمالهم من قدح واستهجان ونقد مرير حتي صار ما يعرض من مشاريع – تريد سلطات الاحتلال انفاذها – علي جلسات مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية تتعثر نتيجة حملات هذه الصحف من ذلك ما حصل عندما عرض مشروع توسيع اختصاصات مجالس المديريات علي مجلس شوري القوانين سنة ١٩٠٨ فقد أخذ هذا المشروع يتعثر وبعد اخذ ورد ونقاش حاد تقرر تأجيله الي شهر ابريل من العام المقبل (١٩٠٩) ولم تلبث ان سنحت فرصة تبرئة الشيخ عبد العزيز جاويش مما نسب اليه لوضع حد لحملات هذه الصحف فرأي جورست ان تعديل قانون العقوبات الذي، بمقتضاه يحاكم الصحفيون لا يفي بالغرض الذي تهدف اليه سلطات الاحتلال وذلك لان هذا القانون لا يسري علي الاجنب بفضل ما كانوا يتمتعون به من امتيازات وكان أصحاب رؤساء تحرير هذه الصحف يتمتعون بهذه الامتيازات كما لم يكن من العسير علي أية صحيفة (يراد تقديمها للمحاكمة) الاتفاق مع أي شخص اجنبي علي الادعاء ولو ادعاء صوريا بانه صاحب.تلك

الصحيفة او رئيس تحريرها حتي تخرج الصحيفة من تحت طائلة القانون وحتي اذا تيسر تعديل هذا القائون لكي يسري علي الاجانب فليس ذلك يسير اذ كان يجب اخذ موافقة الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة وحتي هذه كانت سلطتها محدودة اذ ليس في مكنتها من أي قانون يسري علي الاجانب تتجاوز العقوبة بمقتضاه الغرامة بمبلغ جنيه او الحبس لمدة اسبوع وبناء عليه فقد حزمن سلطات الاحتلال امرها علي بعث قانون المطبوعات القديم الصادر في سنة ١٨٨١ وتذرعت سلطات الاحتلال لتسويغ هذا الاجراء بقولها " ان الحكومة لم تنفذ منذ عام ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ سنة ١٨٨١ وحيث أن الجمعية العمومية طلبت من الحكومة في ٢٦ مارس ،١٩٠٩ ردع الجرائد عن تجاوز الحدود عن الفوضي التي وصلت اليها مجلس الشورى القوانين طلبا مثل هذا في ٣٠ يونيه ١٩٠٤ وحيث ان عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد الا تماديا في التطرف والخروج عن الحد حتي ادي ذلك بشكوي الناس بلسان الجمعية العمومية ومجلس شوري القوانين من هذه الحالة التي أضرت بمصالح البلاد ضررا بليغا فقد قرر مجلس النظار ما يأتي (يعسل باحكام قانون المطبوعات فيما يتعلق بنشر الجرائد في القطر المصري).

استصدرت سلطات الاحتلال قرار مجلس النظار في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ ببث قانون المطبوعات لسنة ١٨٨١ والذي كان من مقتضي مادته الثالثة عشر انه " يسوغ محافظة علي النظام العام او الدين او الاداب تعطيل او قفل أي صحيفة او دورية بامر من ناظر الداخلية بعد انذارين او بقرار من مجلس النظار بدون انذار يصدره واذا استمر صدور الجريدة او الرسالة بعد تعطيلها او قفلها فيعاقب كل من محررها وصاحبها بالغرامة وتقفل المطبعة التي طبعتها بامر من نظارة الداخلية ".

وهكذا صار من حق السلطة التنفيذية تعطيل اية صحيفة بلا تحقق وبلا محاكمة بدون ابداء أسباب.

لم توهن تلك الاحتياطات والتدابير التي اتخذتها سلطات الاحتلال من نشاط الصحافة الوطنية بل اخذت هذه تتمادي في سياستها وتوجه النقد المرير الي النظارة الجديدة وسلطات الاحتلال والخديو نفسه ولقد ازرتها في ذلك الصحافة الاجنبية التي كانت تنقم علي سلطات الاحتلال موقفها السلبي في معالجة الازمة المالية التي حلت بالبلاد وتبديدها الاموال التي في اعتقادها انه كان من الممكن انفاقها في مشاريع تؤدي الي انماء الثروة وبالتالي يستفيد منها النزلاء الاجانب بمصر حيث ان هؤلاء كانوا يستأثرون بالمشاريع التجارية في تلك الفترة ولاسيما بعد ان اطلقت انجلترا يدها في المسائل المادية بعد ابرام الوفاق الودي (١٩٠٤) الذي خفف من حدة القيود المالية التي كانت مفروضة علي البلاد علي نحو ما ذكرنا.

ولقد حانت فرصة ذهبية استغلتها الصحافة الوطنية وأخذت تندد بأعمال النظارة الجديدة برئاسة (بطرس غالي) وذلك حينما عرض مشروع مد امتياز قناة السويس مدة اربعين عاما اخري تبدأ بعد انتهاء عام ١٩٦٨ وتدفع الشركة في نظير ذلك حينئذ جورست المستشار المالي اتم الصفقة مجزية وانها وسيلة لسد العجز في الخزانة العامة و تفريج الضائقة المالية التي كانت تعانيها البلاد.

هاجم الوطنيون المشرو ع من ناحيته السياسية والمالي ونادى محمد فريد زعيم الحزب الوطني وقتئذ " كيف يجوز لهذه الحكومة أن تتساهل في أمر إطالة أمد هذه الشركة مع علمها أن هذه القناة كانت السبب في ضياع استقلال مصر وكل مصري لان يراها ملكا لمصر وطالب الوطنيون بعرض الأمر علي مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية قبل البت فيه

فاضطرت النظارة الي عرض المشروع علي الجمعية العمومية ولقد عهدت الجمعية العمومية الي من بين اعضائها ببحث المشروع ونقديم تقرير عنه وقررت نظارة محمد سعيد باشا (التي خلفت نظارة بطرس باشا غالي الذي قتلا بسبب هذا المشروع بان يكون راي الجمعية قطعيا فقررت الجمعية بعد دراسة وافية للمشروع رفضه ورات فيه غبنا فاحشت على مصر.

وفي اثناء عرض مشروع مد امتياز قناة السويس قتل بطرس غالي وكان القائل من شباب الحزب الوطني وكان مقتل هذا الرجل من العوامل التي اثارت جورست على سياسة التسامح التي اتبعتها انجلترا مع المصريين ووجد كما يقول " سياسة التسامح التي اتبعتها انجلترا وقد اعتبرها كل من المصريين والاجانب ضعفا وترددا من الحكومة الإنجليزية ولذلك فقد صار يرى ضرورة اتباع سياسة الحزم والشدة وعدم اظهار الضعف او التردد لا سيما وانه كان يعزو مقتل بطرس غالي الي اسباب سياسة كما هاج اعضاء الغرفة التجارية الانجليزية اذ يقول رأوا ان الامور لم تستقر بعد وطالبوا باستخدام القوة ولذا يقول جورست " ان سياسة الكلام قد انتهي اجلها ولم تعد كافية ولابد من سياسة العمل وان تبين انجلترا للشعب المصري انه لم يمكن ان يتعلل باي امل في التقدم اذا استمر في هياجه ونقمته علي الاحتلال وان الحكومة الأنجليزية لن تعدل عن خطتها امام ارهاب او قوة ".

توجت سلطات الاحتلال اجراءانها في محاربة الحركة الوطنية بسن القانون رقم ١٥ بتاريخ ٤ بوليه سنة ١٩٠٩ الذي بمقتضاه صار من حق السلطة التنفيذية نفي نفس المصري لمجرد الشبهة بحجة أنه خطر علي الامن العام وسن المتعلق بمحاكمة الصحافة امام محكمة الجنايات بتاريخ ١٦ يوينه سنة ١٩١٠ وعلي ان يكون حكمها غير قابل الاستئناف ويتبع في اجراء تها الطرق المنصوص عنها في المادة ١٥٧ من قانون تحقيق الجنابات و هكذا نجح

جورست في صرف جهود الوطنيين الي محاربة الخديو الذي صار مسايرا لسياسة الاحتلال في مصر وفصم عري التحالف الذي كان سائدا بينه وبين الوطنيين ولقد كان لمقتل بطرس غالي باشا علي هذه الصورة أسوأ الوقع بين الاقباط فأوغرت صدورهم واعتبر القبط عنصرهم هو المقصود بالاعتداء ودافع المسلمون(الوطنيون) عن انفسهم بان الرجل لا يستحق القتل الا بوصفه خان وطنه اذ ان تاريخ الرجل لا يخلو من الاخطاء السياسي فهو الذي وقع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ – وهي الاتفاقية التي خولت لانجلترا رسميا حق الاشتراك في ادارة شئون الحكم في السودان ورفع العلم الانجليزي الي جانب العلم المصري في ارجائه وتعيين حاكم عام للسودان بنماء علي طلب الحكومة الانجليزية وذلك بالنيابة عن الحكومة المصرية بوصفه ناظرا خارجيتها وقتئذ ثم ان بطرس غالي هو الذي اصدر قرارا بتشكيل المحكمة المخصوصة اثر وقوع لمادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ حين كان وزيرا للعدل بالنيابة وراس هذه المحكمة بنفسه وقد استهل عمله في النظارة الجديدة التي تشكلت اثر استقالة مصطفي فهمي بكبت الحريات باعادة قانون المطبوعات القديم في مارس سنة ١٩٠٩ ثم اصدر قانون النفي الاداري بتاريخ ٤يوليه ١٩٠٩ الذي وضع في يد السلطة التنفيذية حق نفي الاشخاص الذين تري انهم خطر علي الامن العام وختم حياته السياسية بدخوله مع شركة قناة السويس في مفاوضات لمد امتيازها اربعين عاما مقابل دفع مبلغ اربعة ملاييين من الجنيهات وجزء من الارباح السنوية.

سياسة فرق تسد: اقباط ومسلمون

لم تظهر مشكلة النزاع بين الاقباط والمسلمين بصورة سافرة الا في سنة ١٩١١ علي إننا لو تتبعنا اصولها منذ ان نشأت الدعوة اليها في الصحف القبطية سنة ١٩٠٩ لادركنا ان هذه المشكلة تزجع الي سوء الظن وفقدان الثقنة فقد كان المسلمون يسيئون الظن بالاقباط

ويتهمونهم بمولاة الانجليز المستعمرين لما بجمع بينهما من رابطة الدين كما كان المسيحيون يسيئون الظن بالمسلمين ويتوهمون انهم يتحينون الفرص للانتقام منهم ولا يحول بينهم وبين ذلك الا الانجليز ولقد لعب الجيل الذي يقود الي عصية عمياء لا تقوم على اساس من المنطق او الدين دورا خطيرا في استفحال هذا الشقاق فقد كان كثير من المسلمين ينزلون انفسهم منزلة خاصة عن القبطي وينظرون اليه نظر السيد الي المولي حتي انتهى الامر بالقبط ان يوزعوا انفسهم بين الاسر الاسلامية الكبيرة في قري صعيد مصر ويضعوا انفسهم تحت حمايتهم.

لقد نشأ معظم المسلمين والاقباط من الطبقة الجاهلة علي تقاليد فاسدة اعتبرها المسلمون حقا لهم واذعن لها الاخرون علي انها امر واقع ولما كانت الصبغة الغالبة علي تفكير الوطنيين في تلك الفترة هي فكرة ' الجامعة المصرية " فقد كان من الطبيعي ان يختلف موقف الاقباط من الاحتلال الانجليزي المسيحي عن موقف المسلمين فيهم ان لم يطمئنوا اليه لا يتحمسون لمحاربته تحمس المسلمين فقد كانوا يتوقعون ان ترتفع منزلتهم ومكانتهم في ذلك العهد من اجل ذلك استشعر المسيحيون القوة وانفتح امامهم باب الامل في تحسين حالتهم ويدا كثيرون منهم يضيق ذرعا بالاوضاع السائدة التي قبلوهنا من قبل على انها امر واقع وحقيقة مقررة ونظر المسلمون من ناحيتهم الي هذه الروح الجديدة علي انها تمرد وانتهاز للفرص وخيانة للبلد الي يطعمهم ويكسوهم والذي تتكون اغلبيته من المسلمين واتجه الاقباط صوب التعليم ليستمدون منه القوة كما حرصوا علي جمع المال والثروة.

والقاء نظرة علي تقارير المعتمد البريطاني تكشف لنا لأول وهلة كيف انهمك هؤلاء علي تحصيل العلم ولآ سيما الاجنبي منه بنوع خاص والي جانب كل هذا تهافت الاقباط علي بعض الوظائف الي زهد فيها المسلمون وتوارثوا الوظائف المتصلة بالاعمال المالية والحسابية

منذ زمن طويل فكان بسبب ذلك كله ان تجاوزت نسبتهم في الوظائف نسبتهم العادية في السكان بمقدار كبير.

وكان من نتائج حرصهم علي جمع المال ان زادت ثروتهم ولقد ادي بالتالي الي فتح ابواب الامل امامهم وصار يحفزهم علي المثابرة بينما كان المسلمون يسيئون الظن بهم وتقوي الشبهات التي تختلج في نفوسهم من ان هؤلاء الاقباط لم يصلوا الي ما وصلوا اليه الا بتحيزهم لسلطات الاحتلال واحتضان هذه لهم وعندما زاد المتعلمون القبط وارتفعت نسبتهم بدأ الاقباط يحسون انهم مغبنون وان من حقهم ان يكون لهم من الوظائف نصيب يتفق مع مقدار المتعلمين منهم ويتناسب مع مقدار ما يدفعون من ضرالب ونظر المسلمون شذرا الي تلك الحال واذا بهم يرون عدد الاقباط المتولين الوظائف بالادارة المصراية يفوق نسبتهم العددية بكثير هذا الي جانب ان نسبة عدد الاقباط في بعض المصالح أو النظارات قد وصل الي نسبة عالية فتطلع المسلمون الي تلك الحال ورأوا ان تذمر هؤلاء الأقباط ليس مبينا علي شيء من الانصاف بل انه قائم علي الشطط والجشع من جانب هؤلاء وذلك اعتمادا علي حماية سلطات الاحتلال التي تربطهم بها رابطة الدين.

واخنت الصجف التي كان قد انشاها الاقباط للدفاع عن مصالحهم مثل (الوطن ومصر) تقصر اهتمامها علي معالجة مشاكل الاقباط وتطالب برفع ما زعمته من ظلم ولم تزل هذه تسير في طريقها هذا حتي انتهي به الامر الى ان نتحدث عن الاقباط كانهم أمة مستقلة لها كيان منفصل عن مصر وتشتط في القول الي حد الادعاء بان الاقباط الفراعنة واصحاب البلاد و انهم المصريون الخلص الذين لا تشوب دماءهم شائبة أجنبية.

وبدأت هذه الصحف تتحدي الرأي العام باستحسان ما اجمع المصريون علي استنكاره فتؤيد قانون تقييد حرية الصحافة اذ في نظرها ان ذلك يحد من سفه السفهاء الذين يدعون الي الفتنة ثم هي تشيد بالخطبة التي القاها تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق في مارس سنة ١٩١٠ بالجماعة المصرية التيمجد فيها الاحتلال وعارض فيها حركة المطالبة بالدستور التي كانت على اشدها والتي قال فيها ان تربية الشعب لكي يصبح صالحا لحكم نفسه هي مسألة أجيال متتابعة وأن سبيل ذلك لا يمكن أن يكون باصدار دستور يصبح حبرا على ورق فيقابل المصريون خطبته هذه بالاستنكار الشديد وترسل الاحتجاجات الى ادارة الجامعة لسماح لها بالقاء هذه الخطبة في دارها ومنحها الخطيب لقب " الدكتوراه الفخرية " بعد القائها ولكن صحيفة مصر تكتب في تأييده وفي الرد علي من يهاجمه في مقال افتتاحية جاء بها " لم يبدو في جو مصر خطاب ابلغ من الخطاب الذي القاه مستر _ روزفلت رئيس جمهورية امريكا السابق في الجامعة المصرية ولا اصرح منه عبارة ولا انفع لها في الحال والاستقبال وقد قوبل من جميع الطبقات بالاعجاب التام لأنه كان صادرا عن اخلاص صحيح ورغبة صادقة في خير البلاد ولم تقف جهود الصحافة القبطية عند هذا الحد في اثارة الفتنة وبذر بذور الشقاق بل تعاود الصحيفة المذكورة طرق الموضوع مرة ثانية في مقال عنوانه فلنصف الحساب " جاء به " كثر الحدس والتخمين وزادت الشكوك وقل اليقين وترك روزفلت الناس حياري لا يدرون من الذي نبه الي سياسة مصر ودخيلتها و اعلمه علي اسرارها وكشف عن عوراتها قال روزفلت حكمته وخطب خطبته فلم يهتم القوم لموضوع الخطاب اهتمامهم بالحبث عن مصدر علم الرئيس بمجري الاحوال و لاريب ان ذلك كان داعيا الي تنمية سوء الظن بين المسلمين و الاقباط وتوسيع شقة الخلاف حتي دفع العناد والمكابرة والشعور بالعزلة و الانسلاخ من " الجامعة المصرية" بعض القبط الي التخلي عن جنسيتهم والتماس العزة في ظل بعض

الجنسيات الاوروبية التي كانت تكسبها الامتيازات الاجنبية حصانة خاصة وتضعها في مركز ممتاز تمتد اليه يد القانون.

ولم تقف جهود الاقباط عند هذا الحد بل اخذ بعض الاقباط في الصعيد يدعون سرا مؤتمر يبحث حالاتهم ويؤيد مطالبهم ويبثون روح السخط بين المواطنين الاقباط ويصورون على انهم مغبونون في الوظائف وفي الحقوق وكانت الصحيفتان القبطيتان " مصر " و " الوطن " تنفخان في هذه الروح حتى أوجس الناس خيفة من مغبة هذه الحركة الوخيمة ولكن بطرس غالي رئيس النظار وقتئذ – كان يطمئنهم بانه مالك لزمام الموقف هكذا فأنه سرعان ما تفاقم الخلاف بين القبط والمسلمين اثر مقتل بطرس غالي في ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ وتبددت الوحدة التي كان قد نجح مصطفي كامل قبل وفاته في تحقيقها بين المسلمين والاقباط.

وكان قائل بطرس غالي " ابراهيم الورداني " احد الشبان المتحمسين لمباديء الجزب الوطني وكان هذا الحزب في ذلك الوقت يعتبر بطرس غالي عضد الخديو في سياسته الجديدة فهو الذي صحب الخديو في زيارته الي لندن في صيف سنة ١٩٠٨ حين كان ناظرا للخارجية في نظارة مصطفي فهمي وهو الذي تفاهم مع الانجليز علي السياسة الجديدة وكان الخديو عباس نفسه يعتمد علي بطرس غالي في حل كثير من أزماته مع لورد كرومر وكان الخديو هو الذي رشحه لرئاسة النظارة وضمنه عند جورست حين سأله جورست الا يحصل انتقاد من الاهالي بتعيين رئيس نظارة: قبطي ؟ فرد عليه عباس قائلا انه قبطي ولكنه مصري اما نوبار فلم يكن مصريا-

كان الوطنيون يعتبرون بطرس غالي خان وطنه بماضيه على نحو ما ذكرناه _ ولكن الاقباط كانوا يردون أن جريمة قتله لم يسبق لها نظير في تاريخ مصر الحديث وانها انما

ارتكبت بدافع من التعصب الديني وان بطرس غالي لم يقتل الا لانه قبطي واتهموا الجزب الوطني بانه هو الذي هيج الرأي العام عليه بكتاباته و احتجاجاته على معاهدة سنة ١٨٩٩ ودنشواي وقانون المطبوعات وقانون النفي الاداري ثم باحتجاجاته ضده بسبب تبنيه مشروع امتياز قناة السويس وعندئذ انحرفت حركة الاقباط انحرافا خطيرا فزاد علي الكتابة في الصحف القبطية الشكوي الي الصحافة الانجليزية والنقل عنها في صحفهم والسفر الي انجلترا مستنجدين بشعبها وحكومتها فهذه هي صحيفة العلم تروي ما نشرته جريدة الديلي نيوز Daily News من شكوي احد الاقباط الموجودين بائجلترا من سوء وضع الاقباط في مصر وقول الزائر بأن الاقباط سلالة قدماء المصريين وانهم كانوا يتمتعون بمراكز مهمة نزعت منهم شيئا فشيئا اما جواب " العلم " علي ذلك فكان مناشدة امثال هذا الرجل ان يتقوا الله في وطنهم ولم تقتصر الصحافة القبطية علي نشر مقالات العنيفة بل راحت تنشر سيلا من البرقيات نذكر منها علي سبيل المثال ألا الحصر برقيات بعنوان ' قلق الاقباط العظيم " " ما يجب علي الاقباط " كما كان من بين تلك البرقيات ما يطالب بعدم منح المصريين الدستور والالتجاء الي عموم الدول الاوروبية للنظر فيما الت اليه حالتهم ومنها ما يلجا الي وزير الخارجية انجلترا والي وزير خارجية انجلترا والي المعتمد البريطاني بمصر .

راحت الصحف القبطية تكيل التهم للحزب الوطني علي هذا النحو في عنف ونشطت الدعوة لعقد المؤتمر القبطي في أسيوط علي اعتبار انها المركز الرئيسي للطائفة القبطة بعد ان تبددت مساعي عقلاء الفريقين في الحد من عنف الثائرين وكبح جماحهم وترددت الحكومة في التصريح به خشية اثارت الفتنة واضطراب الامن وطالبت بعقده في القاهرة ليكون تحت عين الحكومة وبصرها ولتلافي ما قد ينجم عنه ثم النت به علي اثر ورود تعليمات وزارة الخارجية الانجليزية يعقده فتم انعقاده في اسيوط يوم ٥ مارس سنة ١٩١١ بدعوة من مطران

اسيوط وبرئاسة بشري حنا وانحصرت مطالبة في طلب العطلة يوم الاحد بجانب يوم الجمعة وان تكون قاعدة التوظف هي الكفاءة وحدها بغض النظر عن نسبة الاقباط العددية ووضع نظام لمجالس المديريات يكفل للاقباط تمتعهم بالتعليم حتي لا يقتصر التعليم علي الدين الاسلامي وحده في المدارس الاولية ووضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصري في المجالس النيابية وجعل الخزينة العمومية مصدرا للانفاق علي جميع المرافق المصرية.

وقام المسلمون بدورهم ببث الدعوة لعقد مؤتمر الدعوة لعقد مؤتمر ينظر في شئون المصريين جيمعا "الاقباط والمسلمين " وتم فعلا جقد هذا المؤتمر الذي اطلق عليه "المؤتمر المصري " وذلك حرصا من الداعين اليه علي وحدة الامة وامعانا منهم في تجاهل الاساس الطائفي والذي قام عليه المؤتمر ولقد رأس رياض باشا هذا المؤتمر الذي عقد في ٢٩ ابريل سنة ١٩١١ واستهله رياض باشا بحث المؤتمرين علي مراعاة العدالة وتأييد الروابط الوطنية في مناقشاتهم وان يكون التسامح الذي عرف عن الاسلام رائدهم ثم تلاه احمد لطفي السيد الذي اكد بدوره ان المؤتمر لم ينعقد الا ليبحث في المصلحة العامة ولينظر في التوثيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية التي كاد يتصدع بناؤها من جراء انعقاد المؤتمر القبطي كما اكد ان الاقلية والاكثرية في الامم لا تقوم علي اساس الدين ولكنها تقوم على اساس المذهب السياسي ثم ابان ما تطوي عليه الاستعانة بالانجليز المحتلين للبلاد من خطر علي الوطن وعلي الجامعة القومية مما يدعو الي الريبة في حسن نية القائمين به الذين أرادو أن يصلوا بمساعدة انجلترا المسيحية الي ان يكون لهم في مصر – وهو اقلية _ حق السيادة علي الاكثرية اعتمادا علي الاحتلال الذي تربطهم به رابطة الدين وعلي ان المصريين سيعلمون حسابا لمغبه ما يرمُون به من التعصب الديني. واعلن ان المؤتمر انما سيبحث في عمل الاقباط وتقديره ليزن مطالبهم بميزان العدل وليبين النافع من الضار والممكن من غير الممكن

ويقرر لهم ما يراه حقا من غير حاجة الي السعي باخوانهم وشكاياتهم الي غيرهم كما اعلن ان المؤتمر سيبحث في المسائل الاجتماعية والاقتصادية وكل ما له علاقة بسعادة الامة وسيظل بمناي عن المسائل السياسية داخلية كانت او خارجية لان ظروف مصر لا تسمح بالخوض في السياسة ثم أخذ في تفنيد مزاعم الأقباط وادعاءاتهم واحدة واحدة مبينا أن نسبة القبط في الوظائف الحكومية وفي مجالس المديريات التي تدل انتخاباتها علي تسامح المسلمين يفوق نسبتهم العددية بمقدار كبير اون الموظفين منهم كثرة في بعض النظارات.

لم تكن تلك المحنة او هذا الشقاق في حد ذاته شرا خالصا بل كان في حقيقة الامر بمثابة وضع حد لسوء الظن المتبادل بين الفريقين وكان متنفسا لما يختلج في الصدور من كره دفين كما كان فرصة لتصفية ما بين الفريقين من خلاف وعودة الاتحاد والوئام وانتهي الامر باعتذار كل من الفريقين للاخر وذلك .انه سرعان ما نهض ذوو الرأي من بين الفريقين لتخفيف حدة هذا النزاع واقامة الدليل علي انه لا يقوم علي أساس من الواقع وان ما توهمه فريق من كلا الطرفين علي انه مغبون ليس الا وهما مبنيا علي سوء الظن ولا يستفيد منه الا المحتل وساهمت الصحافة في الإفصاح عن تلك المعاني وافاضت في بيان خطر تفاقم الخلاف بين عنصري الامة وعمل العقلاء جميعا علي ازالة الخلاف واقامة الدليل المادي علي ان ما ذاع بين الأقباط من الشعور بالظلم ليس الا وهما روجته طائفة من المغالطين سيء النية الذين امتلأت جيوبهم وضعفت فيهم العاطفة الوطنية بانتمائهم الي دول اجنبية كما اقاموا الدليل علي ان ما يطلبه القبط تحت ضغط المضللين المغرورين ممن تزعموا حركتهم يتعارض مع مصلحتهم هم انفسهم ويناقضها اشد المناقضة.

وصفوة القول كان هذا الشر المستطير نقطة البداية توجت به بميلاد الشعور بالجامعة القومية وهو الشعور (القومي) الذي بدأ بعدئذ في اروع مظاهره ابان ثورة ١٩١٩.

جورست وسياسة وقف الجلنزة : `

بدا جورست في تنفيذ الشطر الثاني من سياسته هو المتعلق باطلاق يد الموظفين المصريين في شئون الادارة المصرية وايقاف سياسة الجلنزة وذلك عن طريق تحديد عدد الموظفين الانجليز بالادارة المصرية بعد ان كان قد تضخم عددهم بصورة جعلت الموظفين المصريين انفسهم يفزعون اذا صار لا امل لهم في الترقي الي الوظائف العليا بد ان سدت أمامهم هذه الابواب نتيجة تزايد عدد الموظفين الانجليز ولقد كان يكتف هذا البرنامج من جانب جورست صعوبات تمثلت فيما كان يساور هؤلاء الموظفين الانجليز – علي الاقل في نظرهم من شكوك بصدد تنفيذ تلك السياسة التي كانت ستؤدي بلا شك الي تقويض دعائم السيطرة والرقابة الفعلية التي كان قد اقامها كرورمر علي دولاب العمل لا سيما ان تنفيذ هذه السياسة كان يحتم عليه اسناد بعض الوظائف العليا ذات المسئولية عند خلوها أي نفر من المصريين الامر الذي يتولد منه شعور بالاستياء والتذمر بين الموظفين الانجليز الذين كانوا قد استقروا في مناصبهم وصاروا يعتبرون مصر بمثابة جزء من الممتلكات البريطانية تحت الادارة والاشراف الانجليزي والي جانب كل هذا فان جورست نفسه كان قد تولي كثير من المناصب الادارية بالادارة المصرية قبل تعيينه معتمدا بريطانيا ومارس شئونها في عهد كرومر وكانت تربطه بهؤلاء الموظفين الانجليز روابط وثيقة لم تكن من شأن تلك الروابط ان تمكنه من ممارسة سلطاته بصورة فعالة من حيث فرض الرقابة الدقيقة والاشراف الفعلي علي هؤلاء الموظفين الانجليز الذين كانوا كثيرا ما يسيئون استعمال ما خول لهم من سلطات وما يتمتعون

بـه مـن تأييـد أدبـي ومـن المعتمـد البريطـاني بوصـفه ممـثلا للدولـة التـي تحتـل الـبلاد ومـن وجـود قـوات الاحـتلال. ذلـك مرجعـه الـي ان المعرفـة الشخصـية لا تجتمـع مـع ممارسـة السـلطة الفعليـة في صعيد واحد اذ ان كلاهما مدمر للاخر.

اسـتهل جورسـت سياسـته هـذه بـان جمـع كبـار المـوظفين الانجليـز فـي الادارة المصـرية واوصـاهم بمعاملـة زملائهـم مـن المـوظفين المصـريين بالحسـني وعـدم تجـاوز حـدود اختصاصـاتهم ونفوذهم.

وفـي سـبيل تنفيـذ سياسـة هـذه احـل نفـرا مـن المستشـارين الانجليـز ممـن تتفـق ارائهـم مـع ارائـه بصـدد اطـلاق يـد المـوظفين المصـريين فـي شـئون الادارة محـل نفـر محـل مـن المستشـارين يسـتأثرون بكـل سـلطة حتـي طغـت سـلطاتهم علـي سـلطات" النظـار انفسـهم وتنـاول نظـازتي الماليـة والداخليـة لبـدء تنفيـذ سياسـته وذلـك لان جورسـت نفسـه كـان قـد اكتسـب خبـرة ودرايـة بتلـك النظـارتين اذا انـه كـان قـد تـولي منصـب المستشـار فـي كلتـا النظـارتين قبـل توليـه مهـام المعتمـد البريطاني-

عمـد جورسـت الـي ادخـال روح جديـدة فـي كـل مـن تلـك النظـارتين تقـوم علـي اسـاس وطيـد مـن التعـاون بيـنن المـوظفين الانجليـز والمـوظفين المصـريين فقـد كـان فـي نظـره ان مسـتر فنسـنت كوربـت Vincent Corber النستشـار المـالي تصـرف تصـرفا سـيئا بسـبب تبديـده الامـوال المخصصـة للاحتيـاطي حتـي أ زادت المصـروفات فـي الفتـرة مـن سـنة ١٩٠٣ الـي سـنة ١٩٠٧ مـن مبلـغ ١٢٤٩٢٠٠٠ الـي مبلـغ ١٨٩٢٦٩١١ كمـا انـه انتقـد الوظـائف الكثيـرة التـي كانـت قـد انشـئت منـذ اعتزالـه مهـام المستشـار المـالي. ولـم تـرق فـي نظـره العلاقـة القائمـة بـين المستشـار المـالي نـاظر الماليـة اذ كـان المستشـار المـالي يسـتاثر بجميـع السـلطات فـي نظـارة الماليـة فعمـد

الـي تعيـين سـير " بـاول هرفـي " مستشـارا ماليـا أثـر تقـديم مسـتر كوربـت فنسـنت اسـتقالته وذلـك بعـد ان اخـذ راي الخـديو خلافـا لمـا جـرت عليـه العـادة فـي عهـد كرومـر حيـث. ان جميـع التعيينـات كانـت تجـري وقتـذاك دون اخـذ راي الخـديو لقـد فعـل جورسـت ذلـك علـي امـل تلافـي الازمـة الماليـة التـي كانـت تجتـاح الـبلاد فـي تلـك الفتـرة ثـم وجـه جورسـت عنايتـه الـي نظـارة الداخليـة فلـم يـرتح الـي تـوتر العلاقـات بـين مستشـار تلـك النظـارة وناظرهـا نتيجـة اسـتئثار المستشـار بكـل سـلطة هـذا الـي جانـب تفشـي الجـرائم فـي المـديريات بسـبب مـا كـان يتمتـع بـه المفتشـون الانجليـز بالمـديريات مـن سـلطات واسـعة طغـت علـي سـلطة المـديرين انفسـهم بسـبب انتـزاع الاختصـاص بـين رجـال النيابـة ورجـال الضـبطية القضـائية ورجـال البـوليس وتزتـب علـي هـذا نـزاع خطيـر حيـث كـان للمـدير واعوانـه فـي حفـظ الامـن صـفتان متميزتـان اولهمـا صـفة الضـبطية الاداريـة ومـن خصائصـها المنـع والحيطـة ضـد حـدوث الجـرائم وثانيهمـا الضـبطية القضـائية وتنحصـر فـي تقصـي الجنـاة واقتفـاء اثـرهم ومعاونـة النيابـة فـي جمـع الادلـة والمعلومـات لتقـديمهم الـى المحاكمـة ولقـد تقـررت صـفة الضـبطية القضـائية هـذه بمقتضـى منشـور صـادر مـن نـاظرة الداخليـة بتـاريخ ٢٤ اكتـوبر سـنة ١٨٩٣ كمـا كـان للمـدير بوصـفه المـدير الأعلـى فـي مديريتـه حـق الاشـراف علـي تقريـر النيابـة واقتـراح مـا يتـراءي لـه مـن اجـراءات يعتبرهـا مؤديـة الـي اكتشـاف الجـاني وادانتـه ونـتج عـن الحـق صدام عنيف بين النيابة ورجال الادارة في تفسير التعاون النيابة مع رجآل الآدارة.

ومـن ثـم فقـد رات النيابـة العموميـة بوصـفها رئيسـة الضـبطية القضـائية فـي تقريـر حـق المـدير علـي هـذه الصـورة التـي تضـمنها الامـر العـالي الصـادر فـي ١٨ مـن ابريـل سـنة ١٨٩٥ افتئانـا علـى سـلطتها واخضـاعها للسـلطة الاداريـة وتلافيـا لهـذه الحـال بـذلت نظـارة الحقانيـة جهـودا كبيـرة للتخفيـف مـن هـذا النـزاع الخطيـر وبـادرت باصـدار منشـور يحمـل تـاريخ ٢٠ مـن أبريـل سـنة ١٨٩٥ كمـا سـعت نظـارة الحقانيـة مـن جانبهـا لتوطيـد العلاقـات الطيبـة بـين رجـال النيابـة وممثلـي

السلطة المحلية فاستصدرت منشورا في ٢٢ ابريل سنة ١٨٩٥ وذبلك لتفسير مدى طبيعة التعاون بين رجال النيابة وممثلي السلطة المحلية ولتخفيف حدة تنازع الاختصاص بينهما.

وتوجت نظارتا الداخلية والحقانية مساعيهما في هذا السبيل باصدار منشور في ١١ يناير سنة ١٩٠٨ يوجب اتباع القواعد التي تضمنها قرار مجلس النظار في ٨ من ابريل سنة ١٨٩٥ مع تأكيد مبدا التضامن بين النيابة ورجال الادارة ورغم كل هذه الجهود فقد ظل النزاع قائما وحادا حتي صدر قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٣٠ من يناير سنة ١٩٢٧ الذي الغى قرار مجلس النظار الصادر في ١٨ ابريل ١٨٥٩ السالف الذكر فاستردت النيابة حريتها وتخلصت علي وجه الخصوص من قيد كان يقل سلطتها.

ومهما يكن من شأن هذا النزاع فقد راي جورست القضاء علي تلك المساويء ذلك اما عن طريق تدعييم عدد المفتشين الانجليز بالمديريات وما باتخاذ اجراء اخر. ولقد كان يعترض تنفيذ الاصلاح المنشود صعاب وضعتها نظارة الداخلية التي كان يتولاها " محمد سعيد " المعروف بمولاته للخديو ولا سيما وان الخديو هو الذي اوصي بتعيينه ناظرا للداخلية ولان سياسة جورست كانت تقوم علي اساس التقرب منن الخديو اضف الي هذا انه لم ير من الحكمة زيادة عدد المفتشين و يدعو الي التخفيف من حدة الجلنزة ووقفها وعلى ذلك فقد لجأ جورست الى سياسة اطلاق يد ناظر الداخلية في تلك النظارة وذلك لضمان استمالته الى جانب سلطات الاحتلال مع اقناعه في الوقت نفسه بتوخي الدقة في تعيين المديرين. ثم عمد جورست الي تعيين مستر (شيتي) مستشارا لنظارة الداخلية لان هذا المستشار كان يمقت استئثار زملائه من الموظفين الانجليز بكل سلطة فقام مستر (شيتي) من فوره باطلاق يد ناظر الداخلية في شئون النظارة وصار يتجنب التدخل في امر التعيينات التي يقوم الناظر

باجرائها غير مكترث كثيرا باحتجاجات الموظفين الانجليز الذين تحت رئاسته وحتي صار المفتشون الانجليز لا يتمتعون بسوب سلطات ثانوية بعد ان كانت سلطاتهم تطغى على سلطات المديرين الذين لا حول لهم ولا طول في شئون المديريات.

ولم تقف جهود جورست عند هذا الحد بل عمد كذلك الي تقليل عدد المفتشين الانجليز بالمديريات كدليل ملموس علي حسن نواياه في اتباع تلك السياسة التي ترمي الي ايقاف سياسة لجلنزة وتحديد عدد الموظفين الانجليز وتمصير الادارة المصرية تدريجيا وعندما طلي مستر " دنلوب " مستشار نظارة المعارف تعيين (٤٦) مدرسا انجليزيا للقيام بالتدريس بمدرسة الحقوق اصر جورست علي (تخفيض هذا العدد لستة عشر مدرسا فقط . ولقد صار هذا العدد في العام التالي (١٩٠٨) لاسباب منوعة الي اربعة مدرسين فقط.

ثم انه عمد الي توسيع اختصاصات مجلس النظار فصار لهؤلاء النظار صوت مسموع في مناقشات المجلس بعد ان كان لا حول لهم ولا طول بل كان واجبا عليهم الاذعان والتوقيع على كل ما يطلب منهم ويمليه عليهم المعتمد البريطاني والمستشارون الانجليز الذيض كان لهم حق حضور جلسات آلمجلس فصار لهؤلاء النظار صوت مسموع الان في مناقشات المجلس وان كانت هذه السلطات التي منحت للنظار ليست سوي سلطات ضئيلة تخولهم حق ممارسة الشئون الداخلية في حدود ضيقة أي بالقدر الذي يسمح لهم بممارسة تلك السلطات دون اساءة استعمالها علي اقل تقدير في نظر سلطات الاحتلال _أي بمعني ان سلطات الاحتلال احتفظت لنفسها في ذات الوقت بحق الاعتراض في حالة ما يترايء لها ان ممارسة الناظر المصريين لتلك السلطات التي خولت لهم علي هذه الصورة قد اسيء استعمالها فبقيت سلطات الاحتلال بالرغم من التعديل الجديد محتفظة بالرقابة والاشراف على اعمال

النظـار المصـريين وان انتهجـت سياسـة تقـوم علـي اسـاس تعـاون المـوظفين والمستشـارين الانجليـز مـع النظـار المصـريين والعمـل معهـم فـي وئـام وتكـريس جهـود هـؤلاء المستشـارين والمـوظفين الانجليـز لجعـل تلـك الرقابـة والاشـراف للـذين يمارسـونهما فـي صـورة مقبولـة ومستسـاغة لـدي الموظفين المصريين.

ولقـد كـان مـن فاتحـة اعمـال نظـارة بطـرس غـالي – التـي شـكلت اثـر اسـتقالة مصـطفي فهمـي – ان اعـرب النـاظر عـن الاداريـة والاشـتراك فـي مناقشـات المسـائل"المتعقلـة بالتشـريع كمـا افصـحت " النظـارة ' عـن رغبتـا فـي عـرض جميـع القـوانين واللـوائح المتعلقـة بـالتعليم علـي المجلـس مسـتقبلا ومعنـي ذلـك اعطـاء مجلـس شـوري القـوانين نؤعـا مـن الرقابـة علـي اعمـال النظـارة أي توسـيع اختصاصـات هـذا المجلـس فـي حـدود ضـيقة بقـدر مـا تسـمح بـه حالـة الـبلاد فـي نظـر المعتمـد البريطـاني – الـذي كـان يـري ان مصـر لـم تصـل بعـد الـي مزحلـة الحكـم الـذاتي او انهـا تسـتاهل ان يكـون لهـا نظـم نيابيـة شـبيهة بـالنظم النيابيـة فـي الامـم المتمدينـة وكـان الـذي حـدا بالمعتمـد البريطـاني الـي توسـيع اختصاصـات مجلـس شـوري القـوانين بالصـورة (المحـدودة) التـي ذكرناهـا الرغبـة فـي ايجـاد وسـيلة لزيـادة احكـام الرقابـة علـى اعمـال النظـار الـذين زيـدت اختصاصـات مجلسـهم ومجلـس النظـار كمـا حفـزه الـي فعـل ذلـك العمـل فـي الوقـت نفسـه علـي تهدئـة حـدة الحركـة الوطنيـة المتمثلـة فـي مطالبـة اعضـاء مجلـس شـوري القـوانين والجمعيـة العمومية بمنح البلاد نظما دستورية.

وبـالرغم مـن تلـك الاختصاصـات الضـيقة اللـي منحـت لمجلـس النظـار فقـد تجلـي اثـر هـذه الاختصاصـات الجديـدة فـي مناقشـات المجلـس بجلسـة ١٣ مـارس سـنة ١٩٠٩ عنـدما احتـدم الجـل والنقـاش بـين نـاظر الداخليـة (محمـد سـعيد) والمستشـار المـالي حـول موضـوع شـراء الحكومـة '

لسكة حديد الواحات" الذي عرضه المستشار الانجليزي علي المجلس بجلسة ١٣ مارس سنة ١٩٠٩ وذلك نظير مبلغ مائة وخمسة وعشرين الف جنيه فقد طلب ناظر الداخلية ارجاء البحث في الموضوع لجلسة اخري نظرا لان الموضوع كما قال قد عرض علي المجلس متأخرا ولم يكن لدي النظار متسع من الوقت لدراسته فثارت ثائرة المستشار المالي وأصر علي ضرورة البت في الموضوع بتلك الجلسة بانيا طلبه على اساس ان الموضوع المطروح للمناقشة من اختصاصه مع التعاون مع ناظر المالية وانه مادام انهما متفقان فيجب ان يكونا محل ثقة المجلس فيما يقرر انه فأجاب محمد سعيد " جينئذ " اذا كان الامر كذلك فلا معنى لطرح المسائ ال المالية على المجلس واستطال النقاش واحتدم الجدل وثارت ثائرة المستشار المالي وهدد بالاستقالة لاعتقاده بان النظار لا يثقون في اعماله ولم ينحسم الموضوع الا بتدخل الخديو – الذي كان يراس المجلمن شخصيا وعندئذ نفذ الاتفاق كما وضعه المستشار المالي – وكذلك فقد ثارت مناقشة حادة عندما طلب النظار ارجاء النشر في لائحة المعاشات واضروا علي التاجيل وقد علق.الخديو علي ما حدث اثر انفضاض المجلس بانه لم يشهد من قبل مناقشات جادة مثل التي شهدها بتلك الجلسة ثم عقب احمد شفيق باشا علي ذللك بقوله ان هذا شئ حسن لان المستشارين منذ الان فصاعدا سيعملون حسابا للنظار وسيعرفون جيدا بأن النظار لن يقروا شيئا مالم يقتنعوا به.

نهاية سياسة الوفاق وعودة الي سياسة كرومر (الجلنزة دعم السيطرة الانجليزية)

كان تعينن لورد كتشنر مؤذنا بانتهاء سياسة الوفاق التي انتهجها سير الدون جورست وذلك لان كتشنر لم يكن بالرجل الذي يحتجب خلف النظار المصريين او الخديو كما انه لم يكن الرجل الذي يضع نفسه في مستوي القناصل الاجانب الاخرين الذين كانوا زملاء له من

الناحيـة القانونيـة البحتـة فقـد كـان يتصـدر الموقـف ويضـع خلفـه الخـديو واعضـاء العائلـة الخديويـة الذين جعلهم يحسون بسلطته.

ولقـد كـان تعيـين كتشـنر مثـار قلـق فـي السـراي الخديويـة لانـه رجـل عسـكري يتصـف بالشـدة كمـا هـو معـروف بعدانـه للخـديو مـن جهـة اخـري منـذ حادثـة الحـدود سـنة ١٨٩٤ وعلـي ذلـك فقـد توقـع كبـار رجـال السـراي ان يكـون تعيينـه بـدء سياسـة جديـدة غيـر سياسـة الوفـاق التـي مارسـها جورسـت كمـا توقعـوا عـودة الصـدام والنـزاع بـين المعتمـد البريطـاني وبـين الخـديو صـاحب السـلطة الشـرعية فـي الـبلاد ولقـد أيـدت الصـحافة الانجليزيـة هـذا الاعتقـاد اذ كتبـت جريـدة " المـورنينج بوسـت ان لـورد كتشـنر قـد عـين فـي هـذا المنصـب لانـه مـن اعظـم الرجـال الـذين وضـعوا اسـاس مركزنـا فـي مصـر شـي عمـل عظمـاء الادارة الـذين كـانوا قبلـه فيهـا . وكانـت النتيجـة فشـل سياسـة جورسـت كمـا اعتـرف هـو نفسـه بفشـلها والسـقوط فـي هاويـة الارتبـاك والتشـويش فوقـع علـي عـاتق كتشـنر مهمـة اعـادة النظـام وعـودة الارهـاب مـع نشـر التمـدن واقامـة حكومة صالحة.

عـدل كتشـنر عـن سياسـة سـلفة ازاء الخـديو وصـار يعتبـره كمـا مهمـلا ويتكشـف ذلـك منـذ ان وصـل لـورد كتشـنر الـى مصـر فـي سـفينة حربيـة وكـان الخـديوي لايـزال مقيمـا فـي قصـر المنتـزه بالاسـكندرية غيـر أن كتشـنر لـم يحفـل بوجـود الخـديو بالاسـكندرية ولـم يقـم بزيارتـه بـل انـه امـر باستحضـار قطـار خـاص ورحـل راسـا الـي القـاهرة ولـم يمضـي وقـت طويـل حتـي بـدأ جليـا العـداء السـافر بـين كـل مـن الخـديو ولـورد كتشـنر هـذا العـداء الـي زاده حـده ميـل لـورد كتشـنر نفسـه الـي الاسـتبداد والاسـتئثار بالسـلطة حتـي صـارت كلمتـه أمـرا نافـذا يجـب ان يصـدع لـه. وصـار كـل

نـاظر او مستشـار او مـدير عـام يعـرف جيـدا أن الكلمـة الاخيـرة فـي أي امـر مـن الامـور موئلهـا عند لورد كتشنر.

راي كتشـنر اذا الرجـوع الـي اتبـاع سياسـة كرومـر وقلـب جورسـت مـن حيـث الاسـتئثار بالسـلطة وجمـع ازمـة الحكـم فـي يـده وذلـك بعـد أن بـدأ جليـا فشـل سياسـة جديـدة ازاء المـوظفين الانجليـز بـالادارة المصـرية اذ اوقـف سياسـة تمصـير الادارة المصـرية تلـك السياسـة التـي اتبعهـا جورسـت واخـذ يزيـد مـن عـدد المـوظفين الانجليـز ويزيـد مـن سـلطاتهم وعلـي هـذا الاسـاس يمكننـا ان نقـرر بـأن عهـد كتشـنر يعتبـر دون ادنـي ريـب رجعـة الـي العهـد الكروميـري بكـل مظـاهره وان كـان كتشـنر يعـوزه حنكـة وسـعة ادراك كرومُـر وذلـك لانـه رجـل عسـكري يتخـذ اقصـر السـبل للوصـول الـي هدفـه مـن حيـث اتبـاع سياسـة الجلنـزة عـن طريـق زيـادة عـدد المـوظفين الانجليـز بـالادارة المصـرية وتوسـيع سـلطاتهم والاسـتئثار فـي الوقـت نفسـه بالسـلطة وجمـع ازمـة الحكـم فـي يده وبدء الصدام بين الخديو صاجب السلطة الشرعية في البلاد وممثل الاحتلال.

وفيمـا يتعلـق بـالمظهر المتعلـق بسياسـة الجلنـزة كانـت سياسـة كتشـنر ترمـي الـي محـق العناصـر الوطنيـة بـالادارة الانجليزيـة المصـرية وايقـاف سياسـة تمصـير الادارة التـي كـان قـد قطـع جورسـت فـي اتباعهـا شـوطا كبيـرا فعمـد الـي زيـاده عـدد المـوظفين الانجليـز وتوسـيع سـلطاتهم والاحتفـاظ بسـلطة البـت فـي القـرارات الهامـة و النهائيـة ولـيس ادل علـى ذلـك مـن اجبـار سـير بـولي هـارفي المستشـار المـالي علـى الاسـتقالة عنـدما سـاور هـذا الاخيـر الشـك فـي جـدوى المصـروفات التـي يقـوم كتشـنر بانفاقهـا علـى بنـاء ثكنـات جديـدة لجـيش الاحـتلال وعنـدما قـرر عـدم وجـود الاموال اللازمة – فعين كتشنر بدلا منه يلوره لورد ادوارد سيسل مستشارا ماليا-

وثمة حادثان اخران يكشفان لنا عن مدى استئثار كتشنر بالسلطة وتدخله في ابسط المسائل غير حافل بأية معارضة يبديها أي نفر من المسئولين بالادارة الانجليزية او المصرية سواء اكانوا مصريين ام انجليز وخلاصة الحادث الاول هو انه شكت احدي شركات الاراضي التي عهد اليها بتعبيد احد الطرق بين القاهرة واحدس ضواحيها – الي لورد كتشنر من انه بالرغم من ان الشركة المذكورة قدمت عروضا عادلة لتنفيذ الاتفاق المبرم بينها وبين نظارة المالية لتنفيذه فان نظارة المالية اخذت تتلكأ في تنفيذ الاتفاق واخذت اجراءات تنفيذ شروط التعاقد تتعثر زهاء ثلاثة او اربعة سنوات وعندما اقتنع لورد كتشنر بالعرض المقدم من جانب الشركة خاطب كتشنر المسؤولين بنظارة الماليه برغبته في تنفيذ شروط الاتفاق في وقت معين حتى يمكنه القيام بزياره تلك الضاحيه بعربته وعندما عرض مسؤولون تنفيذ الاتفاق بحجه ان تكاليف العمل باهظه امر بتشغيل المساجين في تعبيد الطريق وعندما احتج المسؤولون بعدم وجود عدد كاف من الحراس لحراسه هؤلاء اثناء عمليه الرصف امر باستخدام جيش الاحتلال على ان يبدا العمل في اليوم التالي وفعلا نفذ امر كتشنر. اما الحادث الثاني فمؤاده اصرار كتشنر علي فصل طلبة المدارس الحكوميه لقيامهم بتحريض الشعب على القيام بمظاهره في مناسبه معينه بالرغم من معارضته المسؤولين من المصريين والانجليز بنظاره المعارف على حد سواء ولقد نفذ امر كتشنر بالرغم مما ترتب عليه من احداث ارتباك واضطراب في نظاره المعارف. كانت سياسه كتشنر الاداريه ترمي الى جانب الشعب او بعباره اصح طبقه اصحاب الاراضي الى جانب سلطات الاحتلال وكان اول مظاهر تلك السياسه قيام كوتشنر بزيارات في الاقاليم واحتفاء الاهالي به واقامه السرادقات وتعليق صورته مشفوعه بهذه العباره "مرحبا بك كيتشنر صديق الفلاح" كان كيتشنر يقوم بتلك بزيارات هادفا الى اقامه روابط ووصلات بينه وبين طبقه الفلاحين حتى تكون سواء الشعب والعامل الرئيسي الذي يقع

علـى عاتقهـا مـدار الانتـاج لمـا ذلـك مـن توطيـد لـدعائم الاحـتلال ولا سـيما وان المـوظفين الانجليـز بـالادارة الانجليزيـة المصـرية قـد كـانوا يقومـون بتلـك الجـولات فـي انحـاء القـري فـي السـنين الاولـي للاحـتلال ولكـن عنـدما حـل محـل هـؤلاء المـوظفين الانجليـز نفـر مـن الشـبان الانجليـز الحـديثي السـن تلاشـت تلـك العطـلات وسـارت الرقابـة والاشـراف الانجليـزيين محصـورين فـي الادارة المركزيـة بالقـاهرة فـاراد كتشـنر ان يقتفـي اثـر كرومـر فـي انتهـاج تلـك السياسـة بالقيـام بنفسـه لتلـك الجـولات لاسـتمالة طبقـة الفلاحـين التـي أولاهـا جـل عنايتـه خصوصـا وان تلـك الطبقـة كانـت قـد اصـبحت تتـاويء سياسـة الاحـتلال ولا سـيما بعـد حـادث دنشـواي فـاراد أكتشـنر ان يـرأب تلـك العلاقـات المتصـدعة عـن طريـق القيـام بتلـك الـرحلات وعـن طريـق اهتمامـه بالزراعـة التـي كانـت هـي مـن اهـم عوامـل الانتـاج فـي مصـر فبـادر برفـع مصـلحة الزراعـة التـي كانـت تابعـة الـي نظـارة الاشـغال الـي مصـاف النظـاراتز ثـم عنـي بزيـادة المسـاحة المزروعـة وتحسـين وتنميـة الانتـاج بمـا يتناسـب مـع زيـادة السـكان المطـردة عـن طريـق مكافحـة الافـات الزراعيـة التـي تسـبب تلـف المحأصـيل واستصـدر القـانون رقـم ٦ بتـاريخ ٩ ابريـل سـنة ١٩١٤المنـع انتشـار دودة القطـن مـن زراعـة البرسـيم وقـد كـان مقتضـى المـادة الاولـى مـن هـذا القـانون حظـر ري البرسـيم المسـقاوي بعـد اليـوم العاشـر مـن شـهر مـايو فـي كـل سـنة ومتـي تحقـق وجـود دودة القطـن فـي ارض مزروعـة برسـيما وتكـون كثيـرة العـدد بدرجـة يحتمـل ان ينشـأ عنهـا خطـر عـام فكـان علـي المـدير او المحـافظ بتقليـع البرسـيم راو حـرث الارض ويتعـين علـي اصـحاب الارض القيـام بـذلك او علـي السـلطة الادارية مباشرة تنفيذ ذلك من تلقاء نفسهاا (المادة الثالثة).

وكـان الـري فـي مقدمـة الميـادين التـي عنـي بهـا كتشـنر فقـد عمـد الـي تعليـة خـزان اسـوان فـي ديسـمبر سـنة ١٩١١ كمـا اعـد مشـروعات لخـزن الميـاه فـي النيـل الابـيض والنيـل الازرق فـي السـودان تحـت ارشـاده ولقـد لقيـت تلـك المشـورعات اهتمامـا بالغـا مـن جانبـه وذلـك لا لانهـا تفـتح

افاقا جديدة في سبيل الحصول علي كمية وفيرة من المياء لمصر والسودان فحسب بل لما يترتب علي تلك المشاريع من الاشراف علي مياه النيل بالسودان – وهي المياه التي تعتمد علبها مصر اعتمادا كليا ويتوقف عليها مصالح سياسة عظيمة بالنسبة لمصر اذ عن طريقها يمكن التحكم في مياه مصر من.ناحية السودان اذ ما ربطت مشروعات خزن المياه بالسودان وهذا هو السبب الذي من اجله احيطت تلك المشروعات بالسرية والكتمان غير ان نشوب الحرب قد حاول دون تنفيذها ولزيادة مساحة الاراضي الزراعية حاول كتشنر استغلال وتعمير الاراضي غير المزروعة وبدأ تجاربه في مديرية الغربية والي جانب ذلك فقد كرس جهده في دراسة مشرو عات واسعة النطاق لاصلاح الاراضي البور كما انشأ السكك الحديدية الخفيفة ومخازن الغلال الخاصة واسواق وحلقات القطن تحدوه الرغبة من وراء ذلك في حماية الفلاح من وسائل الاحتيال وتمكينه من بيع محصوله بالثمن الحقيقي في السوق واشعاره بالعدالة الطمأنينة وكل تلك ظروف تؤدي الي ربط الفلاج بالأرض وزيادة الانتاج الزراعي ولا سيما القطن كما عمد الي انشاء بنوك التوفير بالقري بعد ان فشل البنك الزراعي الذي انشا في عهد كرومر في تأدية اغراضه من حيث حماية الفلاحين من المرابين وتوج جهوجه في هذا الميدان باستصدار قانون خمسة الافدنة.

النزاع بين كتشنر والخديو:

يعتبر عهد كتشنر رجعة للعهد الكروميري من حيث كثرة الصدام بين الخديو صاحب السلطة الشرعية وبين ممثل الاحتلال اذ منذ تولي كتشنر مهام منصبه بدأنا نري صور من الصراع والنزاع علي الاستئثار بالسلطة بين ممثل الاحتلال وصاحب السلطة الشرعية ذلك النزاع الذي كنا نلمسه بين لحظة واخري بين كرومر والخديو فتعددت المصادمات بينهما وكان

اول صـور ذلـك النـزاع معارضــة الخـديو مـا هـدف اليـه كتشـنر مـن تخصـيص مبلـغ كبيـر لبنـاء الثكنـات والحصـون فـي الثغـور وذلـك بحجـة ان الفرمانـات العثمانيـة لا تخـول الخـديو وحكومتـه حق تخصيص هذه المبالغ دون الرجوع الي السلطان فاضمر كتشنر للخديو العداء.

ولـم يتـرك كتشـنر فرصـة تمـر دون مهاجمـة الخـديو فقـد تـدخل كتشـنر فـي اوائـل سـنة ١٩١٣ كـي يمنـع الخـديو مـن بيـع سـكة حديـد مريـوط لشـركة ايطاليـة يؤازرهـا بنـك رومـا و كـان فـد اعطـي لـه امتيـاز بنائهـا فـي عـام (١٨٩٩) وكانـت تمتـد بـين الاسـكندرية الـي املاكـه علـي حافـة الصـحراء الغربيـة واكنـت قـد دارت المباحثـات بـين الخـدبو الشـركة الايطاليـة مـن اجـل بيـع سـكة حديـد مريـوط هـذه الـي الشـركة فـي غضـون قيـام الحـرب الايطاليـة الطرابلسـية فـاتهم كتشـنر الخـديو بـان المباحثـات المتعلقـة ببيـع سـكة الحديـد الـي الشـركة تتضـمن خططـا عدائيـة لانجلتـرا و لمركزهـا فـي مصـر ومـع ذلـك فـان الخـديو كـان قـذ كلـف بعـض المـاليين كوسـطاء للقيـام بعمليـة البيـع وتبـين أن الشـركة الايطاليـة المـذكورة كانـت متقدمـة بعطـاء اعلـى مـن منافسـيها فـي الشـراء وعـلاوة علـى ذلـك كـان الخـديو قـد عـرض بيـع سـكة حديـد مريـوك هـذه علـى كتشـنر منـذ عـام بسـعر اقـل مـن السـعر الجـاري وقتئـذ وكـتن لا يـزال علـى اسـتعداد لبيعهـا لـه غيـر ان كتشـنر كـان يريـد الانتظـار تسـنح الفرصـة لشـرائها بسـعر اقـل مـن ذلـك. ومـا ان علـم كتشـنر بنبـا اتفـاق الخـديو مـع الشـركة المـذكورة علـي بيعهـا حتـي توجـه الـي القصـر وطالـب الخـديو بايقـاف اجـراءات البيـع وابلغـه بأنـه (أي الخـديو) وضـع نفسـه فـي مركـز حـرج (لا يحسـد عليـه) ببيعـه ارضـا ليسـت ملكـا لـه وانـه لـذلك يعتبـر مسـئولا شخصـيا امـام الحكومـة المصـرية صـاحبة هـذه الارض كمـا افهمـه عـن طريـق نظـاره الـذين قـابلهم كتشـنر لهـذا الغـرض ان مركـزه(أي الخـديو) فـي خطـر حقيقـي الا ان احـد اعضـاء البرلمـان الانجليـزي الـذي كـان قـد علـم بحقيقـة المسـالة تـولي الـدفاع عـن الخـديو فـي البرلمـان موضـحا ان الخـديو كـان قـد عـرض بيـع تلـك الصـفقة علـى علـي لـورد كتشـنز ولكـن هـذا

الاخير رفض شراءها ولذلك فقد ابرق السير ادرواد جراي الة كتشنر يطلب اليه شراء السكة الحديد السالفة الذكر في الحال ويتم بيع السكة الحديد للحكومه في مارس ١٩١٣ .

لم يرضي الخديو عن موقف محمد سعيد – رئيس مجلس النظار وقتئذ – السلبي ابان تلك الازمة بين الخديو وكتشنر مما دعاه الي ان ينقم عليه. فقد اعتقد الخديو عباس ان صفقة بيع السكة الحديد للحكومة لم تحقق له ما هدف اليه من دبح الي جانب هذا كان محمد سعيد اداة طيعة في يد كتشنر وينفذ اوامره في كثير من الاحوال مما زاد من سخط الخديو نفسه عليه وترتب علي كل'هذا ان اخذ الخديو يسعي لاقالة محمد سعيد غير ان كتشنر افهم الخديو انه عند حدوث تغيير في النظارة فان سلطات الاحتلال.تفكر في حزب الامة لاسناد مهمة تاليف النظارة الجديدة الي احد رجاله ومن المعروف علي حد قول قول كتشنر نفسه ان اعضاء هذا الحزب الذين يمثلون طبقة اصحاب الاراضي ليسوا اصدقاء للخديو.

لقد اخذ الخديو اثر عقد بيع صفقة سكة حديد مريوط يفكر في احلال مصطفي فهمي المعروف بولائه لانجليز محل محمد سعيد في رئاسة النظارة وافضي برغبته هذه الي كتشنر ولم يثر كتشنر ثمة معارضة في ذلك من جانبه وذلك لان كتشنر لم يكن راضيا عن محمد سغيد بالرغم من تعاونه مع كتشنر وذلك لان محمد سعيد – علي حد قول لويد –مثير الفرقة في مجلس النظار وتعوزه الصحافة في الجمعية التشريعية ولقد اعترض تشكيل النظارة الجديدة خلاف بشأن ناظرين (وزيرين) وهما حشمت باشا ومحمد باشا وكان الاول موضع كراهية شديدة من الخديو والثاني يشتبه في امانته. وكان كتشنر يرغب في الاحتفاظ بهما بيتتا كان مصطفى فهمي يرفض ذلك مما جعل كتشنر يضحي بمصطفي فهميي –وقد قبل اقتراحا ابداه رونالد ستورين – (السكرتير الشرقي للقنصلية البريطانية) بشأن تعيين حسين رشدي لرئاسة

النظـارة ولقـد كانـت تتسـم ممارسـة كتشـنر لسـلطاته بالصـفة الشخصـية وفـرض سـلطته علـي ال خـديو تجلـي هـذا مـرة اخـري فـى مسـالة دقيقـة وهـي ادراة الاوقـاف التـي كانـت فـي حـوزة الخـديو وقـد رأي كتشـنر ان الخـديو يتبـع سياسـة الاصـراف والتبـذير فـي امـوال ذلـك المرفـق الخيـري ولـم يقتصـر الخـديو علـي صـرف تلـك الامـوال لحسـابه الخـاص فحسـب بـل ان الخـديو يسـتخدمها فـي الدغايـة ضـد الانجليـز سـواء فـي مصـر او فـي القسـطنطينية وانـه يبـذلها لاصـحاب الصـحف الاجنبيـة المتمتعـين فـي حمايـة الامتيـازات الاجنبيـة مـن بطـش الحكومـة بهـم الـي جانـب كـل هـذا وقـد كـان الخـديو يتصـرف فـي امـوال ذلـك المرفـق الخيـري بطريـق يشـين سـمعته لـيس مـن هـدف سـوي الاثـراء وتنميْـة ثروتـه مثـال ذلـك مـا فعلـه فـي صـفقة ارض المطاعنـه وكـان مـن نتـائج هـذا الصـدام رفـع مصـلحة الاوقـاف الـي مصـاف النظـارات وازاء تصـرفات لـورد كتشـنر هـذه نحـو الخـديو اضـطر الاخيـر ان يتـرك العمـل لكتشـنر الـذي اسـتأثر بكـل سـلطة فـي ادارة الـبلاد حتـي اصـبح ملجـأ يلـوذ اليـه الاهـالي مـن كافـة انحـاء الـبلاد ويجـأرون اليـه بالشـكوي وقـد اسـتن كتشـنر سـنة زيـارة الـبلاد والتحـدث الـي اهالهـا وامبتقبـال الحكـام والنظـار والاعيـان والعمـد وذوي الحاجـات كأنـه الحـاكم الشـرعي للـبلاد وصـار هـؤلاء الاهـالي يلتسـمون منـه تنفيـذ مـا يعـن لهـم مـن مطالـب مـن ذلـك ان اهـالي اسـيوط طلبـوا منـه فـي احـدي الزيـارات انشـاء مدرسـة ثانويـة وطلـب اهـالي فـوه خطـا حديـدا والـي جانـب كـل هـذا التجـأ اليـه الاقبـاط وطـالبوه بمحاسـبة رجـال الـذين يبتـزون الامـوال العامـة ومعاملـة الاوقـاف الاسـلامية اي بوضـعها تحـت اشـراف احـدى النظـارات. وفـوق كـل هـذا فقـد اخـذ طـلاب المـدارس والمعاهـد يرسـلون اليـه الشـكاوى فـي كافـة الموضـوعات كمـا تقـدم اليـه موظفـوا التليفونـات طـالبين منـه حمايـة حقـوقهم عنـدما تنقـل ادارة المصـلحة بالقـاهرة الـى الحكومـة في المستقبل.

قبـع الخـديو فلـم يعـد يـرأس جلسـات مجلـس النظـار الا نـادرا غيـر انـه عـاوده الامـل وتطلـع الـي مـؤازرة الحـزب الـوطني لـه فـي نزاعـه هـذا مـع ممثـل سـلطات الاحـتلال مـن اجـل السـلطة وهـو الحـزب الـذي كـان فـد اخـذ يناصـب الخـديو العـداء"منـذ انتهـاج سياسـة الوفـاق فـي عهـد جورسـت فسعي الخديو الي عقد الصلح بينه وبين محمد فريد زعيم الحزب الوطني ولكن دون جدوي.

الفصل الثالث

مصر أثناء الحرب العالمية الأولى

الفصل الثالث

مصر أثناء الحرب العالمية الأولى

وفي عام ١٩١٤ ومع اعلان الحرب العالمية الأولى أعلنت السلطات البريطانية تأجيل اجتماع الجمعية التشريعية إلى أجل غير مسمى، وضمانا لعدم حدوث رد فعل لهذا التأجيل، ونظرا لعدم حدوث نص في القانون النظامي يمنع أعضاءها من الإجتماعات الخاصة صدر قانون منع التجمهر فى ١٨ أكتوبر ١٨٤ وفى ٢ نوفمبر وضعت البلاد المصرية تحت الأحكام العرفية وفى ١٧ ديسمبر تم وضع مصر تحت الحماية الإنجليزية وزوال السيادة التركية .

وعلى الرغم من إعلان انجلترا أن مصر لن تتأثر بالمجهود الحربى بمناسبة أعلان الحرب بينها وبين تركيا ؛ لأنها أخذت على عاتقها وحدها جميع أعباء هذه الحرب دون ان تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة إلا أنه فى عام ١٩١٤ أرسلت مدفعية مصرية للمساهمة فى الدفاع عن قناة السويس ، وفى يناير ١٩١٥ استطاعت فصيلة من الجنود المصريين هزيمة القوات التركية فى موقعة الطور بسيناء ، دفى فبراير وصلت القوات التركية إلى قناة السويس واشترك المصريون والإنجليز فى ردها .

واستجابة لطلب الحملة العسكرية البريطانية للبحر المتوسط في اغسطس ١٩١٥ تم جمع نحو ٥٠٠ عامل من صعيد مصر لأن لديهم قدرة كبيرة على الاحتمال وارسلوا الى جزيرة مودروس Mudros وقد أى نجاحهم في هذه الجزيرة غلى طلب اعداد اخرى من العمال

المصريين الذين بلغ عددهم يوم الانسحاب من غاليبولي نحو ٣٠٠٠ رجل من الصعيد حققوا هناك نجاحا عظيما خاصة في حفر الخنادق تحت وابل من القنابل، كما ساهمت قوات مصرية أخرى في صد زحف السنوسيين في نوفمبر وطرد قواتهم من مطروح والسلوم مساعدة للبريطانين.

وفى خلال العام نفسه(١٩٩١) كانت حالة مصر سيئة للغاية حيث أنقطع ورود الذهب الذى كان يصل إليها كل عام فى المواسم التجارية بسبب إغراق السفن التى كانت تجلبه من الخارج وبواسطة الغواصات المعادية التى كثر ظهورها فى كل البحار ، وهبطت أسعار القطن إلى حد كبير مما ادى إلى الركود الشامل فى السوق التجارية وتحديد مساحة الأراضي المزروعة قطنا وتأليف لجنة إنجليزية لمراقبة تصدير القطن بأسعار منخفضة إلى انجلترا وارتفاع أسر السلع الاستهلاكية أجور المواصلات، بينما لم يرد دخل افراد الطبقة الوسطى رغم زيادة تاليف الحياة، وذلك بسبب جعل مصر قاعدة للمخابرات البريطانية والعمليات الحربية في الشرق الأدنى، كما تعذر استيراد كثير من المواد المصنوعة، مما ساعد على إنشاء عدة مصانع قام بها أصحاب رؤوس الأموال لإنتاج مما كانت تستورده البلاد قبل الحرب.

ليس هذا فحسب فان مكماهون المندوب السامي لبريطاني شرع فى أول نوفمبر فى إجراء اكتتاب عام لصالح جرحى الحرب البريطانيين يدفع بأسم الصليب الأحمر ، وكذلك لفرسان القديس يوحفا البريطانيين ؤ لأسر جنود الحلفاء المندوبين، وصدوت الأوامر لرجال الإدارة بجمع هذه الأموال ، وجار االعمد والموظفون على الأفراد العاديين حتى بلغت جملة الاكتتاب في فترة وجيزة أكثر من مائة الف جنيه، وقد ساعد فى ذلك الإقبال الرهبة من

الاحكـام العرفيـة وتنفيـذها واشـتدت الحكومـة فـى جمـع الضـرائب لصـالح الإسـتعمار بقسـوة وعنـف ومـع انخفـاض سـعر القطـن اضـطر الفلاحـون إلـى بيـع مصـاغ زوجـاتهم وحلـيهم ثـم الماشـية والـدواجن ، أو الإسـتدانة مـن المـرابين بالربـا الفـابخش لأداء المـال المطلـوب و كانـت فرصـة انتهزهـا العمـد والمـديرون وتجـار الغـلال حيـث أسسـتولوا علـى المحاصـيل بأسـعار رخيصـة ثـم باعوهـا الفلاحـين مـرة أخـرى بأسـعار باهظـة ، ممـا زاد احسـاس الفلاحـين بـالظلم النـاجم مـن تشـكيل فرقـة العمـل المصـريين وجـع المحاصـيل للجـيش وقيـام السـلطة العسـكرية بتجديـد أسـعار هـذه المحاصـيل بنفسـها لنفسـها، وتلـزم النـاس قبولهـا وتأخـذها بأثمانهـا الضـئيلة وتبيعهـا للـدول الأخـرى بالأثمـان العالميـة وضـغط الموظفـون الأنجليـز علـى المصـريين وسـجنوا الكثيـر مـنهم بدعوى أنهم قد يناوءون الإحتلال .

ومـع نهايـة عـام ١٩١٥ إشـتبك الإنجليـز وحلفـاؤهم مـع الأتـراك فـى ميـدان جديـد، إذ حـاول الإنجليـز اقتحـام مضـيق الـدردنيل عنـوة فـأكثروا مـن حشـد الجيـوش فـى مصـر لهـذه الغابـة ممـا ادى إلـى أزديـاد الطلـب الحربـى البريطـانى علـى المصـريين بـالإكراه وكانـت حملـة المتطـوعين وقامـت السـلطات البريطانيـة بجمـع الآلاف مـن العمـال المصـريين وسـخرتهم فـي الإمـداد لحملـة فلسـطين، وقـام هـؤلاء العمـال بتعبيـد الظـرف وامـداد القـوات الإنجليزيـة الزاحفـة وكلـف العمـد فـي بعـض المـديريات بـالقبض علـى النـاس وتفسـيرهم إلـى ميـادين القتـال المختلفـة مثـل سـيناء وفلسـطين وجزيـرة غـاليبولي علـى ضـفة الـدردنيل والعـراق وفرنسـا حيـث ادت هـذه الفرقـة اعمـالا لا يمكـن تقـدير قيمتهـا وقـد اغضـب المصـريين اسـتخدام العمـال فـي إنشـاء سـكة حديـد سـيناء والـذى صـحبه اسـتيلاء السـلطات البريطانيـة علـى دواب الحمـل ووسـائل النقـل وعلـف الـدواب رغـم انـف المصـريين واسـتخدام الكثيـر مـن هـذه الـدواب فـى فرقـة الهجانـة التـى كـان لهـا دور هـام فـى حراسـة شواطئ قناة السويس .

ورغم ادعاء الإنجليز أن هؤلاء العمال كانوا متطوعين إلا أنهم فى الواقع وبإعتراف كتاب إنجليز أيضا كانوا مسخرين ، وإن عملية السخرة قامت بها السلطات الإنجليزية بمسْاعد الحكومة المصرية واستخدمت السلطات الإنجليزية لهذا التجنيد الإجباري تعبيرا غريباً سموه " الضغط الإدارى " لتحقيق أهدافهم والواقع أن هذا الاستغلال البشع للعمال والفلاحين كان فيه استهانة واهدار لكرامة الإنسان المصرى .

وطبقا للمادة ١٠١ من قانون القرعة العسكرية فإن إلريف ينقسمنون إلى درجات نبعاً لنوع السلاح أو المصلحة التي خدموا فيها مدة وجودهم فى الجيش ، ويجوز قانون طلب درجة واحدة من رجال الريف بدون طلب رجال الدرجة الأخرى ويطلب رجال الدرجة الواحدة حسب ترتيب رتبتهم من الجيش ويبدأ بالذين وفتوا آخر الكل وهذا يعنى أنه بالنسبة لعملية ١٩١٦ التى نحن بصددها فإنه يطلب اولا رديف ١٩١٥ ثم رديف ١٩١٤ ثم ١٩١٣ ثم ١٩١٢ ثم ١٩١١ حسب الاقتضاء.

وقسمت وزارة الحربية كل حملة من هذه الحملات إلى خمسة أقسام وجعلت كل قسم مؤلف من ٢٢٠ صف ضابط وعسكرى عدا ما. يتبعه من الجمال هذا ويعتبر الرديف خاضعا للأحكام العسكرية ، وغذا تخلف عن الحضور فى الوقت المعين يقع تحت طائلة القانون كأنة هارب من الجيش .

وبدأ عام ١ ٩١٦ من اقتناع الحلفاء بعجزهم عن متابعة القتال فى ميدان الدردنيل (غاليبولى) حيث انسحبوا منه نهائبأ فى ٩ ، ٨ يناير من هذا العام بعد أن قدوا كثيرا من مراكبها الحربية ورجالهم وامتلأت المستشفيات المصرية بالجرحى الإنجليز والفرنسيين والمصريين حت ضاقت بهم على كثرتهم فى أنحاء القطر، ولما انهزم الاتراك فى منطقة قناة

السويس وانسحبوا منها، كان يظن أنهم سيعودون إلى الهجوم على قناة السويس مرة أخرى إذ خف الضغط عليهم، بعد أن فشل الحلفاء في الاستيلاء على الدردنيل على أن الأتراك لم يقوموا بذلك الهجوم، ومع ذلك ظلت منطقة القناة مركز للعمليات الحربية فى شرقى مصر لذا لم تكتف السلطة العسكرية البريطانية بفرقة العمل المصرية ى فتحولت إلى رديف الجيش المصري لاستخدامهم فى التسهيلات اللازمة للدفاع عن قناة السويس وغيرها .

فى ٢٠ يناير ١٩١٦ انعقد مجلس النظار وعرضت عليه مذكرة من ناظر الحربية – اسماعيل سرى – بطلب الرديف ى وذلك لأن قائد هموم القوات البريطانية بمصر قام بتنظيم فرو ع التسهيلات إلى كثير من فروع الغدارة المدنية المصرية، إلا أن الضرورة تدعو إلى تنظيم تلك التسهيلات وأنه يحتاج إلى طائفة من العمال تعودوا على النظام العسكري مثل أفراد رديف الجيش.

وقد طالب وزير الحربية بجمع افراد الرديف من جميع الفرق للخدمة العسكرة ما عدا المو جودين منهم فى خدمة الحكومة (طبقا للمادة ١٠٧ من الامر العالي الصادر في نوفمبر ١٩٠٢) وبناء عليه وافق مجلس الوزراء على جمع أفراد الرديف، وأبلغ القرار عقب انفضاض المجلس الى المحافظات والمديريات ويتضح من مذكرة وزير الحربية أن لاقتراحه هذا لم يكن سو مجرد تطوع لم يكن له مبرر وخضوع للسلطات الإنجليزية ، فمنذ بداية الحرب وانجلترا قد اتخذت على نفسها أنها ستتحمل و حدها عبء الحرب دون طلب اية مساعدة من مصر .

وبجانب الفاقة الاقتصادية لقى الرديف كما يلقى العمال والفلاحون الوانا من العنت وسوء المعاملة ، وقد استطاع العمال التعبير عن قلقهم وتذمرهم وتطلعهم إلى المستقبل بما كان يهيمن للعمل الاساسى الثورى كما ان ازدياد أعباء المعيشة بإرتفاع الأسعار وخفض

الاجـور أدى إلــى تـوفير كثيـر مـن العمـال فعمـت البطالــة بيـنهم وإن فداحــة الغـلاء قـد اضـرت بـالفلاحين أكثـر ممـا اضـطرت بـاي طبقـة مـن اصـحاب الـدخول المحـدودة بتحـريم التجـارة فـي محصــول بــذرة القطــن لعــام ١٩١٨/١٧ نظــرا لقــدوم حكومــة جلالــة الملــك علــى شــراء هــذا المحصـول وعيـت لجنـة لشـراء بـذرة القطـن نيابـة عـن الحكومـة البريطانيـة وفـي ٣ مـارس ١٩١٨ صـدر بـلاغ بتحديـد شـراء القطـن بـاثنين واربعـين ريـالا للقنطـار فـي حـين كـان سـعره عالميـا سـبعة وسبعين ريالا في ليفربول وستين في أمريكا.

كمـا أن كثـرة قـوات الحلفـاء فـى مصـر كـان سـبباً فـي أرتفـاع الأسـعار حيـث جعلـت انجلتـرا دلتـا النبـل كلهـا معسـكرا بريطانيـا واما قنـاة السـويس فقـد أضـحت مجـرد طريـق مواصـلات للحلفــاء ولــيس طريقــاً للملاحــة العالميــة ؛ وان معســكرات الإســماعلية والقنطــرة كانــت مــلاذا للإسـترالبين والهنـود والبريطـانيين، وأمـا المصـريين فقـد اسـند إلـيهم قطـع الأخشـاب أو نـزح الميـاه وهذا هو سبب ظهور البطالة إن كانت هناك بطالة وليس الرديف كما يذكر .

شـارك الرديـف العمـال والجمالـة فـى أعمـال التشـهيلا لتـى طلبتهـا مـنهم القـوات البريطانيـة أثنــاء الحــرب، فعنــد تقهقــر الأتــراك عــن القتــال تتــبعهم الإنجليــز فــى صــحارى ســيناء ؛ ولكــن الصـحارى كانـت قاحلـة لا مـاء فيهـا ولا سـبل لسـير الجيـوش بمـدافعها وعرابتهـا الضـخمة عليهـا، فأرسـل الإنجليـز أمـامهم الرديـف والعمـال المصـرين لتمهيـد الطريـق حتـى أصـبحت صـالحة لسـير السـيارات وجـر المـدافع الضـخمة واقـاموا مخـازن العتـاد والتمـوين، كمـا اقـاموا خطـوط البـرق والتليفـون وأنشـأوا التحصـينات ومهـدوا الأحجـاء والأشـواك وأعـدوا المواقـع البحريـة ومـدوا بجوارهـا أنابيـب الميـاة المـأخوذة مـن ترعـة الاسـماعلية، الصـحراء سـهلة الإختـراق بفضـل هـؤلاء الرديـف

واصبح زحف الجنود الإنجليز فيها مستطاعا بعد أن كان صعبا ، وكان هؤلاء المصريون يعملون بثبات تحت وابل من القنابل والقذائف التى كان الأعداء يمطرونيم بها .

وبدون هذا الإستغلال البشرى الكامل لأمكانيات مصر لم تتمكن حملة الجنرال اللنبى من اجتياز سيناء على طريف معبد لتصل إلى فلسطين وبسبب هذا النجاح المنقطع النظير لهؤلاء الرديف زاد الطلب عليهم ، حيث طنب من اللواء هربرت أعداد أخرى منهم للعمل فى فرق التشهيلات المساعدة .

وبسبب تخلى ايطاليا عن حلفائها الألمان وانضمامها إلى جانب الانجليز و الفرنسيين فى ١٩١٧ تجرج الموقف واشتدت السلطات البريطانية فى تطبيق الأحكام العرفية في مصر وكثر القبض على كل من يشتبه في ميوله السياسية إى مناهضة الانجلز، واشتدت السلطات في مطالبة أهب الرديف المصريين بغلاتهم ودوابهم، كما اشتدت الرقابة غلى الصحف .

وفى ٢٤ مايو ١٩١٨ افتخر رجال الحكومة بانهم عارضوا فى التجنيد الإجبارى ، وكان حكام الأقاليم أخذوا يتخطفون الناس من الأسواق والطرقات والمساكن فى القرى واستخدمت الحكومة القسو ة والاعتداء على الناس ووصل الأمر إلى إطلاق النار على الأهالى وأصابوا البعض منهم وتهرب الوزراء من المسئولية ؤ فالتجنيد القانونى منعه الوزراء تهرباً من المسئولية الظاهرة ، ولكن التجنيد النزضى حاصل بكل طرق الجبر والإكراه ، وفى أكتوبر من نفس العام حث السلطان الناس على التطو ع فى خدمة السلطة العسكرية وزادت حركة مصادرة الأبل والدواب فى مختلف المديريات .

كما أن نجاح الرديف فى مهامه التى كلف بها أدى إللى تقدم القائد العام للجيوش البريطانية بالشكر للحكومة المصرية على مما قام به هؤلاء المصريين فى قناة السويس وفى

الصحراء الشرقية (سيناء) من أشغال وطلب القائد العام من الحكومة المصرية صرف مكافآت لهم تقديرا لخدماتهم وقدرتهم الفائقة فى هذه الميادية وفى نفس الوقت عملت السلطة العسكرية على إظهار دورهم فارادت أن تطلع المصريين على أعمالهم كنوع من التفاخر بهم وبما قاموا به من انشاءات خاصة الخطوط الدفاعية ، فدعوا لزيارتهم وزير الحربية ووكيل الداخلية ورئيس الجمعية التشريعية و أعضائها فقاموا بالزيارة فى ٢٨ فبراير، وقد أثنوا على ما شاهدوه بعد عودتهم ناهيك عما قام به ما أطلق عليهم بالمتطلوعين من أعمال وخدمات جليلة لجيوش الحلفاء كانت موضع الثناء و التشديد من جانب الجنرال ماكسويل و الجنرال مودى والجنرال اللبنى.

ومن المؤسف أن الحكومة المصرية رفضت صرف تعويضات لأفراد الرديف المتضررين من الحرب، وهناك الكثير من شكاوى هؤلاء المتضررين الذين أشارت اليهم الوثائق طالبين التعويضات ، كما أشارت الوثائق إلى مطالبة الضابط والجنود أيضا الذين عملوا فى سيناء وفلسطين بيدل السفر الخاص بهم وعلى سبيل المثال يشكو أحد أفرادا الرديف أنه دخل أشغال السلطة العسكرية ضمن الرديف أربع دفع من ١٩١٦ إلى ١٩١٩، وفقد بصره، وطلب مكافأة عن مدة خدماته كلها، وكانت المالية رفضت ذلك بحجة أنه عسكري حربي.

إن ستغلال بريطانيا لإمكانيات مصر البشرية من الرديف وغيره أثناء الحرب العالمية الاولى كان سببا اساسيا لوصول بريطانيا وحلفائها إلى النصر، حيث قدت مصر خلال الحرب الكثير من الأكفاء من رجالها إلى الجيش وشاركت مشاركة فعالة فى الحرب باعتراف الإنجليز أنفسهم، كما أعلن اللورد اللنبى أنه كان لمصر أثر فعال فى احراز النصر للحلفاء ومع هذا الاستغلال ظهر التناقض في السياسة البريطانية ونكثت عهودها.

الفصل الرابع

الحماية وآثارها

الفصل الرابع

الحماية وآثارها

ظروف اعلان الحماية على مصر:

قامت الحرب العالمية الاولي نتيجة لاغتيال الارشيدوق فرديناند ولي عمد النمسا بيد احد الصربيين و ونتيجة لدخول النمسا الحرب ضد الصرب ومؤزارة روسيا الصرب وما استتبع ذلك من دخول فرنسا وانجلترا الحرب الي جانب روسيا (٤ اغسطس ١٩١٤)-

انتهزت انجلترا هذه الفرصة لكي تعمل علي اعلان حماتها علي مصر وكشفت بذلك النقاب عن سياسة كانت تطبقها بشكل غير رسمي منذ نزول قواتها الي مصر ١٨٨٢- حيث انها لم تستطع ضم مصر الي الممتلكات البريطانية واعلان الحماية عليها منذ احتلالها اياها في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وذلك خشية اثارة شكوك الدول الموالية لسياستها واثارة جلالة الملكة اثر احتلالها للبلاد وكذلك مراعاة للرأي العام الانجليزي الذي كان ينبذ سياسة ضم مصر الي الممتلكات البريطانية وبناء عليه فضلت اعلان الحماية المقنعة عليها لانها رأت في انتهاجها لمثل هذه السياسة احتفاظا بشخصية مصر من حيث تبيعيتها للباب العالي بمقتضي فرمانات ١٨٤١ وسنة ١٨٧٩ التي هي وثائق دولية لموافقة الدول عليها وليس في امكانها تغييرها او تعديلها دون موافقة السلطان والدول الاوروبية ورأت عدم اثارة تلك الدول وخاصة فرنسا التي ظلت معارضتها لاحت الانجليزي مستمرة حتي ابرام الوفاق الودي سنة ١٩٠٤ الذي بمقتضاه اطلقت فرنسا يدها في شمال افريقيا و اطلقت انجلترا يدها في مصر وعلي هذا

الا ساس ظلت مصر تابعة لتركيا حتي قيام الحرب العالمية الاولي في سنة ١٩١٤ وتضافرت عوامل اتخذتها انجلترا زريعة لفصل مصر عن الدولة العثمانية نهائيا واعلان الحماية عليها وكانت هذه عوامل متعددة منها تفاقم الموقف في الشرق الادني ثم ما كانت تخشاه انجلترا وقتئذ من حدوث فتنة داخلية يوق بها الالمان والاتراك المقيمين بمصر بعد ان اشتركت تركيا في الحرب ضد الحلفاء وانحاز الخديو الي جانب الاعداء ثم ما كانت تراه انجلترا شذوذا في موقف المصريين الذين وجب عليهم بمقتضي الفرمانات السلطانية التي تنظم العلاقات بين مصر والباب العالي ان يقدموا المساعدة الحربية لتركيا في حين يحول وجود الاحتلال دون تمكنهم من فعل ذلك فخشيت انجلترا من انضمام المصريين الي الدولة | العثمانية صاحبة للسيادة عليهم والتي تربطهم بها وشائخ الذين و العاطفة.

وجد الاحتلال مخرجا في جعل الحكومة المصرية تبادر بإعلان أن وجود الإحتلال بمصر يعرضيا للغزو الاجنبي وعلى ذلك فقد أسندت مهمة الدفاع عن مصر إلى الجنرال جون ماكسويل أمام الإستعدادت التى تقوم بها تركيا فى سوريا والتى اعتبرتها تمهيداً لغزو مصر وفى ذات الوقت كانت وزارة الخارجية الإنجليزية قد إنتهيت من تقرير مصير مصر واستقر رأيها على إعلان الحماية عليها بعد أن نبذنت فكرة ضم مصر للمتلكات البريطانية ضما صريحا رغبه منها فى تجنب خلق مشاكل هى فى غنى عنها ذى تلك الأونة العصيبة كما انها نبنت فكرة إعلان حياد مصر على أساس أن هذا ربما يؤدى إلى قيام المصريين بعمل معادى لإنجلترا أو معاونة هؤلاء – المصريين – لألمانيا التى كانت متحالفة مع تركيا بمعاهدة دفاعية سرية أبرمت فى ترابيا فى أغسطس سنة ١٩١٤ بين السفير الألمانى فون فانجنهايم وبين الصدر الأعظم سعيد حليم لا سيما وأن الأتراك قد وضعوا خطة للهجوم على قناة السويس وإلى جانب هذا كانت إنجلترا ترغب في الانتفاع بمؤازرة مصر للقوات الانجليزية فيها

ابـان الحـرب وهـذا – فـي نظرهـا – لا يتيسـر اذا اعلنـت مصـر حيادهـا رسـميا اذا ان طلـب المسـاعدة مـن مصـر حينئـذ – يلقـى – علـى حـد قـول لويـد– علـى عـاتق مصـر عـبء كبيـر ينطـوي علـى اجبـار بلـد محايـد علـى القيـام بعمـل حربـي سـوف تصـبح لـه ضـرورته التـي لا مفـر منهـا وعـلاوة علـي ذلـك فـان فكـرة فصـل مصـر عـن تركيـا واعـلان اسـتقلالها اسـتقلالا داخليـا فـي نطـاق الامـم الامبراطوريـة – تلـك الفكـرة التـي راودت الحكومـة الانجليزيـة لـم تجـد قبـولا وذلـك لاعتقادهـا ان هـذا الوضـع لا يلائـم مصـلحة انجلتـرا فـي وقـت الحـرب ولأنهـا كانـت متيقنـة تمامـا مـن ميـل المصـريين لمسـاعدة الدولـة العثمانيـة صـاحبة السـيادة علـيهم والتـي تـربطهم بهـا رابطـة الـدين ولـيس ادل علـي ذلـك مـن مبـادرة سـلطات الاحـتلال بالايعـاز الـي الحكومـة المصـرية بايقـاف نشـاط أي مكـان مـا وجعلـت عقوبـة المخـالفين لهـذا الحـبس لمـدة سـتة أشـهر او غرامـة اقصـاها عشرون جنيها وفي نفس اليوم صدر امر تعطيل عقد الدورة الثانية للجمعية التشريعية.

اسـتقر رأي الحكومـة الانجليزيـة اذا علـي اعـلان الحمايـة اذ رأت فـي اعـلان الحمايـة نتيجـة طبيعيـة ومنطقيـة الـى حـد لا يمكـن معـه مهاجمتهـا لسياسـة كرومـر التـى كانـت تهـدف الـى ابقـاء الحكـم فـي ايـدي المصـريين ومـن ورائهـم تقـوم قـرائح الانجليـز بنصـحهم وتشـجيعهم او كـبح جمـاحهم كمـا بسـتدعي ذلـك – وانهـا علـي حـد قـول لويـد – التطـر الطبيعـي الـذي لا ينطـوي علـى أي تغييـر فـي السياسـة الانجليزيـة الـذي يفهمـه المصـريون بـدون صـعوبة وفـوق ذلـك فمـن مزاياهـا انهـا لا تجـرح العـزة المصـرية فقـد كـان المصـريون يزهـون اشـد الزهـو بوجـود حـاكم مسـتقل هـذا فضـلا عـن ان فـرض الحمايـة يمتـاز بالمرونـة التـي يحـافظ فيهـا علـي الشـكل الظـاهري لنظـام الحكـم فـي مصـر وان كـان فـي الحقيقـة يجعـل لانجلتـرا السـيادة العامـة علـي مصـر اذ بمقتضـي هذا النظام تحل انجلترا محل تركيا صاحبة السيادة الاصلية عليها.

قانونية الحماية :

وعلي هذا الاساس فقد اعلنت انجلئرا الحماية علي مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وقد جاء في اعلان الحماية (نظرا لان حالة الحرب الناشئة من اشتراك تركيا وضعت مصر تحت حماية جلالته أي جلالة ملك المملكة المتحدة وامبراطور الهند – وتصبح مصر تحت الحماية البريطانية وبذلك تنتهي سيادة تركيا على مصر وستتخذ حكومة جلالته الاجراءات اللازمة للدفاع عن مصر وحماية سكانها مصالحها.

وقد جاء اعلان هذه الحماية في رأي عديدين باطلا من وجهة نظر القانون الدولي فهو اعلان صادر من جانب واحد وفرض للقوة وحدها فهي حماية لم يعترف بها المصريون ولا الدول الاوروبية – ولقد اردفت انجلترا هذا الاعلان باعلان اخر بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩١٤ يقضي بعزل الخديو عباس حلمي الثانى وتوليه الامير حسين كامل الذي اعلن سلطانا وهكذا انهت الحماية الاستقلال الذي كاز المصر (في حدود الفرمانات) كما انهيت حقوق تركيا في السيادة علي مصر والحقوق التي كانت ايضا للخديو بمقتضي هذه الفرمانات وكل تلك كانت حقوقا انتزعتها انجلترا لنفسها فصارت من الان فصاعدا وطالما بقيت الحماية علي مصر هي صاحبة السيادة القانونية وموئلها وأن كانت قانونية هذه السيادة – ولا ينفي البحث في قانونية أو شرعية السيادة او ان هذه السيادة قائمة فعلا – موضع طعن عليها.

هكذا عمدت انجلتر ا الي تثبيت مركزها في مصر ولا سيما وان تركيا صاحبة السيادة الشرغية "علي مصر من وجهة النظر الدولية دخلت الحرب الي جانب المانيا فضغط المعتمد البربطاني في مصر علي حكومة حسين رشدي لتأجيل عقد الجمعية التشريعية وفرض الرقابة علي الصحف وفي الوقت الذي كانت فيه وزارة الحربية البريطانية تضع خططها في الشرق

الاوسط كانت وزارة الخارجية البريطانية تمهد لفصل العلاقة الشكلية بين مصر وتركيا وكان ان كشف انجلترا النقاب عن وجهها في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ واعلنت الحماية علي مصر.

وهكذا زالت السيادة العثمانية عن مصر وفرضت على مصر قيود الحماية البريطانية ورسخت في اغلال هذه القيود مدة تزيد علي سبع سنوات خبرت خلالها قبود الحماية بصورة اشد وانكى من قيود الاختلال البريطني الذي كان جائما فوق صدر البلاد ثبل اعلان الحماية وانتهكت خلالها حرية مصر وكرامتها وازداد اشراف انجلترا علي الامور الداخلية والخارجية واعطت لنفسها حق الدفاع عن البلاد وسخرت كل موارد البلاد لخدمة حرب شفتها هي ولبس لمصر فيها ناقة ولا جمل بل خدمة مصالح انجلترا الاستعمارية أولا وقبل كل شيء.

ولقد انتهزت انجلترا فرصة هذه الحرب الضروس لتقضي علي كل حرية وعلي كل حقوق البلاد في سبيل خدمة مصالحها وسارت مصر في ظل الحماية خاضعة لانجلترا رأسا وليس لها امر في ادارة شئونها الداخلية الخارجية واصبح الحكم العسكري البريطاني هو المشرف علي كل شيء وذلك باعتراف الدول الموالية لانجلترا.

ولم يستطع المصريون ان يدفعوا القضاء ويقاوموا الحماية البريطانية في الوقت الذي صار البلاد تعج فيه بالقوات البريطانية واستأثر المندوب السامي البريطاني السير مكملهون بالسلطة الفعلية في ادارة شئون مصر الداخلية والخارجية.

وفي نلك الاثناء داب الانجليز علي بذل الوعود البراقة للعرب لتحقيق الاستقلال اذا هم ساعدوا الحلفاء ضد الاتراك وتحت تاثير هذه الوعود قائل العرب في صف الحلفاء ضد تركيا دولة الخلافة وبفضل مساعدة العرب وقيام النورة العربية الكبري بزعامة الشريف حسين من

تقويض النفوذ العثماني في البدان العربية ساعد المصريون في طرد الاتراك من سيناء وفي غزو فلسطين فلم يعد لانجلترا في مصر منازع من الناحية الدولية الفعلية.

وتحمل المصريون عناء كثيرا في سيل تموين الجيوش البريطانية بالعمال والمواد الغذائية وربما وثق المصريون عئذ بوعود الحلفاء المعسولة وتصريحات ولسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية عن تحقيق المصير دون ضغط او تدخل من الدول الاخري ولم يعلم المصريون والعرب جميعا عندئذ انهم في الوقت الذي كانوا يقدمو هذه التضحيات من أجل الحلفاء وفي الوقت الذي دأب الحلفاء على تقديم الوعود المعسولة للعرب بالاستقلال والحرية كانت انجلترا تحيك مؤامرتها الكبرى ضد العرب فعقدت اتفاقية سايكس بيكو (مارس سنة ١٩١٦) بين انجلترا وفرنسا وروسيا لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وبمقتضي هذه الاتفاقية كانت العراق وفلسطين من نصيب انجلترا فضلا عن مصر التي كانت تحت حمايتها فعلا في حين كانت سوريا ولبنان من نصيب فرنسا ولم تكتف انجترا بتلك الجريمة بل ار ادت ان تمضي في مكافاة العرب علي مساعدتهم لها اثناء الحرب فاعلن بلفور وزير خارجية انجلترا المشئوم بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وهكذا اخذ العرب درسا قاسيا جزاء ثقتهم في شرف الاستعمار.

انهاء نظام الخديوية وقيام السلطة :

وأما من حيث نظام الحكم فقد قضت انجلترا نهائيا على نظام الخديوية هذا النظام الذى أقرته تركيا لمصر فى عهد الخديو إسماعيل وأحلت الحكومة البريطانية نظام السلطنة محل ذلك النظام وهكذا كان مجئ الحماية إيذانا بإنتهاء الخديوية وما كان لها من سلطة ضئيلة فى عهد الإحتلال وزالت نهائيا الروابط بين الهيئة الحاكمة فى مصر والدولة العثمانية

حتى أعلنت إنجلترا قيام نظام السلطنة ولربما جال بخاطر الحكومة البريطانية القضاء نهائيا على حكم أسرة محمد على ولكن إنجلترا رأت الإستفاده من كل النظم التى تستطيع ان تخدم مصلح انجلترا فوجدت أن تختار لمصر نظام السلطنة فيصبح على رأس النظم الحاكمة التى يحكم الإنجليز من ورائها سلطان يستمد سلطته أولا وأخيرا من ممثل الحكومة الإنجليزية فى مصر فخلعت (عباسا) إز لا تستطيع الإطمئنان إليه فهى لا تنسى مواقفة فى سبيل الحصول على السلطنة التامة وأحلت محله " حسين كامل " الذى قبل المنصب فى ظل الحماية وتعاون مع الإحتلال .ولما مات حسين كامل وضعت إنجلترا فى السلطنة أخاه " أحمد فؤ اد " ولم يكن لكلا السلطانين سلطة أو نفوذ حقيقى فالأحكام العسكرية البريطانية هى السائدة في البلاد ولم يحاول كل منهما الإصطدام بممثل انجلترا في مصر ولم يكن أحد من أرباب السلطة في ذلك الوقت – أي وقت الحماية – يكترث لما يصيب مصر من ارهاق وما يلحق الشعب المصري من عنت وقمع وارهاب واحتكر وسوء استغلال لمواردها لخدمة اغراض الجهود الحربي بل سارت إنجلترا فى تنفيذ خطتها من حيث تسخير البلاد تسخير تاما لخدمة مصالحها الخاصة فاتخذتها قاعدة لعملياتها الحربية فى الشرق الأوسط وحرمت على المصريين التعامل مع أعداتها آو الإتصال بهم وبذلك مصر مجهودا كبيرأ فى هذه الحرب في تموين الجيش الإنجليزى بالعمال والمواد الغذائية وأعطت اليهود وعودا حرصت على تحققها وعقدت من المعاهدات السرية ما شاءت لتقسيم البلاد العربية بينها وبين حليفته فرنسا وحكمت إنجلترا مصر بالاحكام العسكرية إبان الحرب ولم تسمح للمصريين بالتعبير عن ارائهم بأية وسيلة من الوسائل. ومع ذلك فالشعور القومي ظل موجودًا في نفس الشعب المصري ناميًا ينتظر الفرصة للإنفجار وكانت الحكومة المصرية نفسها بالرغم من موالاتها لانجلترا وتعاونها معها تنتظر

منهـا العمـل علـى تحقيـق امـانى القوميـة عقـب انتهائهـا مـن الحـرب وانتصـارها ولكـن الحكومـة البريطانية ظلت جامدة لا تعطى المصريين املا حقيقيا.

كـان كـل مـا وعـدت بـه إنجلتـرا فـى بـدأ الحـرب تصـنعا ورياء منهـا انهـا تهـدف إلـى الـدفاع عـن حقـوق مصـر وعـن سـلم ذا القطـر ورخائـه كمـا أعلنـت انهـا ستسـتخدم جميـع الوسـائل للـدفاع عـن الـبلاد ومعنـى ذلـك أنهـا تمضـى فـى إذلال مصـر سياسـيا بزيـادة القـوات المحتلـة وقالـت أنـه نظـرا لاعترافهـا بمسـاوئ الامتيـازات الأجنبيـة أرادت بعـد الاحـتلال مباشـرة وبعـد إيـرام اتفاقيـة سـنة ١٩٤٠ بينهـا وبـين فرنسـا وكـذلك وعـدت انجلتـرا بـاحترام معتقـدات المصـريين الدينيـة هـذا هـو كـل ما وعدت به الحكومة الإنجليزية .

وأمـا عـن احـتلال مصـر فلـم نقـدم الحكومـة الإنجليزيـة شـيئًا ولـم يقـدر حسـين كامـل ووزيـره رشـدى فـى سـنة ١٩١٤ تقـديرا كافيـا علـى حـد قـول الأسـتاذ شـفيق غربـال " عـن الحكومـة _ أنهمـا كانـا يسـتطيعان لا أقـول إمـلاء شـرعية فـي مصـر مكتـوب بـان الحمايـة إجـراء تقضـيه الحـرب وأن العلاقـات بـين البلـدين يعـاد النظـر فيهـا علـى أسـاس مـن التراضـى عنـد إنتهـاء القتـال... كـان يمكـن ان يطلـب الـى الإنجليـز إعطـاء عهـد بالتسـليم بـإن الحمايـة إجـراء حربـى قبلتـه الحكومـة المصـرية علـى هـذا الاسـاس وكـذلك كـان يمكـن أن يطلـب مـن انجلتـرا عهـدا بـان تعيـد للشـعب المصـرى الحقـوق المختلفـة التـى قالـت أنهـا تعتبرهـا تحـث يـدها ولكـن أكتفـى كـل مـن حسـبن كامـل ووزيـرة حسـين رشـدي بمـا خلعـه عليهمـا ملـك إنجلتـرا مـن نباشـبن حيـث مـنح الاول نيشـان الحـام والثـانى نيشان ميشيل جورج -

وعلـى هـذا لا يمكـن إعفـاء الـرجلين مـن مسـئولية إثبـات حقـول مصـر علـى وجـه ومـع ذلـك ان الحركـة الوطنيـة التـى اضـطرت للخمـود قلـيلا بسـبب الحـرب العالميـة الأولـى قـد اسـتيفظت

حينما وضعت الحرب أوزارها وحينما أحس الشعب بان العالم يتطور ويقدم على تنظيم مستنبل الشعب على حق تقرير المصير وكان هدف ثورة ١٩١٩ واضحا لا غموض فيه هو الحصول على الاستقلال التام لمصر استقلأ مجردا من التبعية لتركيا أو الرضا بأى نفوذ بريطانى .

الاختمار الثورى :

وتعاقبت الأحداث على البلاد وبينما كانت الامة ترقب أن تنجز إنجلترا وعودها فى الجلاء إذ بالإحتلال يتفاقم ويزداد وضوحا بإعلام انجلترا حمايتها على مصر فى ديسمبر سنة ١٩١٤ وبذلك ساء مركز مصر السياسى وازدادت بعدا عن أهدافها الثومية وازداد الشعب تبرأ وحنقاً على انجلترا وبخاصة حين تنكرت انجلترا لمصر بالرغم مما أفادته منها طيلة سنين الحرب.

وقد أشار " ملنر " فى تقريره " إلى طرف من هذه الاعباء التى ألقت على كاهل مصر حيث قال " إن الشعب المصرى تحمل التكاليف والقيود التى اقتضتها تلك الحرب بالصين والرضا وأن وأن الخدمات التى أداها للفيلق المصري للعمال لا تقوم بالثمن ولم يكن عنها غنى للحملة على فلسطين ولم يقتصر الامر على تجنيد فرق العمال والرديف بهذه الأعداد الهائلة ولكن ضد أمر يجمع كل دابة قادرة على الحمل من أنحاء البلاد من خيل وإبل وبغال وحمير وكان الثمن الذي يدفع لوسيلة النقل في ريف البلاد ومعظم مدنها المتوسطة ثمنا تافها وكانت توسم دواب الحمل المريضة او المشوهة حتى اذا حضر المفتشون الإنجليز وجدوا أن البلاد خلت تماما مما يريدونه وانه لم يحدث غش او احتيال فى تنفيذ أوامرهم .

شعر المصريون إذن بأنهم ضحية طغيان غاشم لا منجأة منه إلا إذا شاء العلى القدير ان يطوى صفحة الإنجليز طيًا وشعر المصريون بأنهم فى حملات فلسطين وسوريا والعراق فى

مناطق الدردنيل وجنوب فرنسا شعروا بان أنجلترا قد استغلتهم وأستغلت مواردهم وشعروا بان انجلترا تحاول الاحتفاظ بهم فى وضع هو وضع المحميات والمستعمرات . `

وشعر المصريون بالمظالم التى قاساها الشعب من : السلطة العسكرية وشعروا بكبت أنفاسهم بالأحكام العرفية وممنع الاجتماعات والاعتقادات وإصدار الأحكام بالسجن والنفى .

كان من العسير أن يقبلا المصريون هذه الوضعية لمدة طويلة خصوصا وأن ظروف نظريات وحركات جديدة كانت قد ظهرت فى ذلك الوقت.فى العالم ومن بين هذه الحركات بطبيعة الحال قيام ثورة الشعب الروسى بقيادة الطبقة العاملة عام (١٩١٧) بثورة ضد القوى الإستعمارية وضد الإستعمارية وضد الاقطاع والإحتكار ونجحت ذه الثورة فاستطاعت الأول مرة في تاريخ البشرية أن تقيم دولة نوع جديد " دولة العمال متحالفة مع الفلاحين " وكان نداء هذه الدولة الوليدة جديا على البشرية تعتنق شعاراً جديدا قوامه " السلام بين الدول " وهذا الشعار الجديد أضطر الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى إلى رفع راية الديموقراطية والحرية ى سبيل كسب الراى العام العالمي إلى جانبهم وقد نشروا دعوتهم هذه على أوسع نطاق حتى تصل إلى الشعوب جميعاً وإذا كان المقصود بذلك السلاح شعوب الأعداء فإن الدعوة سرت بسرعة مذهلة فى الشعوب المستعمرة وهي شعوب وجد أنها في .. ومما شجع الجماهير على الإنخداع بهذه الوعود البراقة صدورها من خص محايد له وزنة فى المعسكر الدولى وهو الرئيس الامريكي "ولسون " الذى وضع أساسا ترسم عليها سياسة السلام بعد الحرب وهى المبادئ الأربعة عشرة المشهورة والتي تكفل لجميع الشعوب ومنحها حق تقرير المصير دون ما ضغط او تدخل من الدول الأخرى.

أعلن الحلفاء قبولهم لهذه السياسة وصدرت من انجلترا وفرسا بالذات دعوةٌ تتعلق بالمنطقة العربية إذ تعهدنا بتحرير الشعوب العربية التى كانت تخضع للحكم العثمانى ومنحتها استقلالها وتحت تأثير هذا الوعذ وغيره قائل العرب فى صف الحلفاء ضد تركيا دولة الخلافة ولكن هذه الوعود تبخرت فى أبريل سنة ١٩١٩) وقرن بهذا الاعتراف بتحفظ من شانة الاحتفاظ بحق المناقشة فى المستقبل فى تفاصيل ذلك وفى التعديلات التى قد تنتج عن هذا القرار فيما يمس حقوق الولايات المتحدة والرئيس الأمريكى يعطف كل العطف على امانى الشعب المصرى المشروعة لتوسيع نظام الحكم الذاتى .

تمسكت العناصر الوطنية بمبادئ ولسون هذه الحرية والمساواة و حق تقرير المصيروكذلك بتصريحات إنجلترا وفرنسا المتضمنة تحرير الشعوب العربية والتى تخلصت من الحكم العثمانى وتأسيس حكومات وإدارات وطنية تقوم سلطاتها طبق لرغبة الاهالى الوطنية واختيارهم لما.

ظهور المبادئ التحرية :

إن هذه المبادئ والنظريات السياسية عملت على تنمية الشعور الوطنى للوصول إلى الحرية والإستقلال وجاء ذلك في وقت هد فيه العالم وقوع ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ وراى أهمية الشعوب وإن صممت على الوصول إلى أهدافها ، حدث ذلك فى الوقت الذى ادارت فيه إنجلترا اجهزة الدولة وقامت باستغلالها بل لقد وضعت لمصر فى أثناء الحرب عددا من مشروعات – بقوانين للعقوبات وتحقيق الجنايات والمرافعات والقانون المدنى والتجارى ووضعت أسس للنظام القضائى التى تعتزم تطبيقه فى مصر وكان من شان كل هذه التنظيمات

والترتيبات للنزول بمصر إلى مستوى المستعمرات فى الوقت الذى تنتشر فيه النظريات التقدمية المتحوزه فى العالم .

كان لأساليب الإنجليز فى مصر من حيث النزؤل بها إلى مستوى المستعمرات والتى اتبعتها أثر إعلان الحماية عليها والقضاء على الرابطة السمية- و الشكلية التى تربط مضر بتركيا اثر انضمامها إلى معسكر الأعداء الأثر الحاسم في بروز قيادة وطنية جديدة لتقود الحركة الوطنية ولا يهمنا فى هذا المجال ما يثيره كثير من الكتاب بشان فكرة تأسيس وفد للمطالبة بحقوق مصر في مؤتمر الصلح سوا ء اكانت هذه من إلهام سعد او ابتداع عمر طوسون - مع انه من أمر فقد تألفت هيئة وطنية لقيادة الحركة الوطنية ولا غرابة إذا جاء تشكيل الوفد بصفة أساسية من بين اعضاء حزب الامة والجمعية التشريعية القدامى وذلك أمر طبيعى ومنطقى لان من المعروف أن الحركة الوطنية قبل سنة ١٩١٩ كانت موزعة بين فريقين رئيسيين ويمثلها حزب الأمة من ناحية والحزب الوطنى من ناحية أخرى وحزب الأمة هو حزب اصحاب الأراضى الزراعية الكبار والحزب الوطنى يضم بصفة أساسية عناصر المدن المثقفين الطلبة فهو الحزب الأقرب إلى الجماهير - والأكثر تطرفا فى مواقفة الوطنية لانه الحزب الذى يضم اكثر العناصر التى أضيرت بسبب الإحتلال غير ان الحزب صفى أو كاد منذ ايام أكشنر وخلال الحرب العالمية الأولى واختفت قيادته بخروجها من مصر وعلى هذا الأساس ل يبق على مسرح السياسة من ناحية القيادة سوى عناصر حزب الامة والجمعية التشريعية .

حقيقة قد استطاعت بعض عناصر من المثقفين من بقايا الحزب الوطنى أن تنظم إلى الوفد ولكنها كانت قليلة العدد بحيث يمكن القول بان تشكيل الوفد كان دون نزاع وبصفة

أساسية من طبقة كبار الملاك من أصحاب الأراضي الزراعية ومن المعروفين باعتدالهم وثوربتهم المحدودة وهذا موقف تنفرد به ثورة ١٩١٩ فلم تكن فى قياتها بورجوازية وطنية او برجوازية وطنية بالمعنى المعروف فى ثورات التحرير الوطنى.

اتفق سعد مع عبد العزيز فهمى وعلى شعرواى على أن يطلبوا مقبلة السير " وينجت' المندوب السامى البريطانى لطرق رسمية والمتمشية مع أبسط مبادئ الدبلوماسية فى هدوء واتزان وتمت المقابلة يوم ١٣ من نوفمبر سنة ١٩١٨ حيث بسطوا له وجهة نظرهم من حيث ضرورة إنهاء الأحكام العرفية وإلغاء الرقابة على الصحف والمطبوعات والمطالبة بإستقلال مصر على أسس استعداد مصر لان ترتبط مع إنجلترا بمعاهدة صداقة تكونان فيها ندين متساوين ونتعاونان بحكمهما فى مواجهة الظروف الدولية إذ اقتضت الظروف الدولية هذا التعاون وذلك لضمان تأمين طريق الهند وقناة السويس.

ولقد كان إذن حديث سعد وصحبه مع ع المندوب السامى البريطانى ينطوى على عدة نقاط ضعف منها تعهد سعد بمنح إنجلترا الضمانات التي تكفل صيانة مصالحها في مصر وعدم تمكين اية دولة من استقلالها كأن مسألة مصر واستقلالها مسألة داخلية تهم إنجلترا قبل مصر ووضع قناة السويس تحت تصرف إنجلترا لحماية طريقها "إلى الهند ولا جدل فى أن انجلترا تمسكت فى جميع مفاوضاتها مع مصر بتلك الضمانات وأخنت منذ ذلك الوقت تحلل وتحاور وتناور بتحليل معنى الإستقلال التام معددة فصالحيا ونصر ذاتها وأبدا على ضرورة الحصول على ضمانات تكفل صيانة وحماية تلك المصالح المزعومة .

تكوين الوفد المصرى :

وقد لخص الرافعى الفرق بين خطة سعد وصحبة وخطة الحزب الوطنى بقولة ' أنها الفرق بين مذهبين مختلفين مذهب التفاهم مع الإحتلال ومذب الجلاء وعدم التعاون مع الإحتلال "

يمثل هذا الطلب المتواضعة والعادلة تقدم سعد وصحبة بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وزال المبرر لإعلان إنجلترا الحملة على مصر ومع ذلك لم يرق هذا فى نظر المندوب السامى البريطانى واعترته الدهشة أن يتحدث ثلاثة أيام باسم امة بأسرها دون أن يكون لديهم ما يخولهم صفة التحدث باسمها ومن ثم فقد شرع سعد بعد هذه المقبلة فى تأليف الوفد المصرى ليعمل على المطالبة بالإستقلال كما عمل على أن يحصل لهذه الهيئة الجديدة على توكيلات من الأمة تسمح لها بالقيام بهذه المهمة وتأليف الوفد أساسا من الأعضاء الثلاثة السابقين ومعهم محمد محمود و أحمد لظفى السيد عبد اللطيف المكباتى ومحمد على علوية وحدد الوفد مهمته بالسعي بالطرق السامية المشروعة للوصلوإلى استقلال مصر استقلال تاما .

وبعد أن تم تأليف الوف على نلك الصورة طلب الإذن من المندوب السامى البريطانى للسفر إلى إنجلترا لمخاطبة الحكومة البريطاينة فى أمر الحماية ولعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح ورفضت السلطات الإنجليزية فى مصر طلب إعطاء الجوازات لرجال الوفد و أبلغت دار الحماية سعد أنها غير مستعدة لقبول أى أقتراحات منه تتعلق بكيفية تعديل نظام الحكم في مصر تقوم هي بإبلاغها إلى لندن وعلى أن لاتخرج هذه عن الخطة التي رسمتها

إنجلترا من قبل ولا تتعارض مع الاوامر والتعليمات التى أصدرتها الحكومة الان للسلطان حسين كامل حينما تولى العرض أي لا تخرج هذه عن نطاق الحملية الإنجليزية على مصر.

تفاقمت الحال فى مصر بسبب رفض إنجلترا السماح لسعد وصحبه بالسفر إلى الخارج الأمر الذى أضطر حسين رشدى رئيس النظام إلى تقديم استقالته معلنا فيها أنه قبل أول وزارة ى ظل الحماية على أساس الإحتفاظ لمصر بشخصيتها المتميزة وإنهاء هذه الحماية بمجرد آن تضع الحزب أوزارها ولقد رفض القصر قبول استقالته الأولى فقدم استقالة ثانية.

ورغم إصرار القصر على ضرورة استمرارة فى تسير الشئون الإدارية إلا أن رشدى أصر من جانب على ضرورة ترك الحكم وساند بذلك حركة الوفد المصرى الذى أعلن فى اليوم التالى أنه ليس هناك فى البلاد من يقبل تشكيل الوزارة الجديدة فى ظل الأوضاع القائمة .

وازداد الموقف توترا ولم تضع الإجراءات الى اتخنتها السلطات البريطانية فى مصر من عزيمة أعضاء الوقد من حيث التضييق على أعطاء الوفد فى مهمتهم بل قوى هذا من عزيمتهم وأثار حفيظة المصريين ولم يقبل سعد بطبيعة الحال تقديم مقترحات إلى دار المندوب السامى البريطانى تتعارض التذكيلات التى منحها البلاد لة بل كان كل ما يبغية أعضاء الوفد الاتصال بالساسة الإنجليز وبالر أى المام البريطاني لعرض قضية البلاد على مسامعهم .

ثارت حماسة الر اى العام واشتد فى مطالبة بالحربة وزاد غليان النفوس رغم الأحكام العرفية المعلنة فى البلاد وأخذ سعد يندد بسياسة السلظات البريطانية فى كل مناسبة وفى كل اجتماع وازدادت ضائقة الشعب عندما فبل القصر استقال رشدى فاضطر الوفد إلى أن يبعث إلى السلطان معبرا عن وجهة نظرة وطلب منه الوقوف فى صف الأمة ومؤازرتها فى مطالبها حتى تنال أهدافا.

وشعرت السلطات ج البريطانية بحرج موقفها وبعجزها عن كبت الشعور الوطنى وأدركت أن مطالب الوفد سيتردد صداها بلا ريب فى العواصم الأوربية عن طريق الممثلين السياسيين الأجانب فى مصر هذا فضلاً عن أنها رات فى اجتماع الوفد تحد لها وتشهيرا بها وبتصرفاتها وكشف عن سوء نيتها امام الراى العام فاضطرت للتدخل فاستدعى القائد البريطانى فى مصر سعد وزملائة وتلى عليهم البلاغ الآتى " علمت انكم تضعون مسالة الحماية موضع المناقشة. وأنكم تقيمون العقبات في سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى في منع تشكيل وزارة جديدة وحيث أن البلاد لا نزال تحت الأحكام العسكرية، لذلك يلزمنى أن أنذركم أن أى عمل يرى إلى عرقلة سير الإدارة يجعلكم عرضة للمعاملة الشديدة بموجب الاحكام العرفية .

كان منطق الامور يوحى إذن بأن السلطات البريطانية مصر سوف تلتزم لشدة فى معاملة أعضاء الوفد الذين يرفعون رؤوسهم أمامها ويريدون المنقشة ولكن ما نوع هذه الشدة وما لونها لقد أفصح عنها ما اتخذته السلطات البريطانية فى مصر من إجراءات ضد قادة الثورة فى الأيام القلائل التى تلت هذا الإستدعاء أى يوم ١٨ من مارس سنة ١٩١٩ حيث القتت السلطات البريطانية القبسض على سعد ومحمد محمود وإسماعيل صدقى وحمدئ الباسل ونفتهم إلى مالطة ولعل مما يثير الدهشة أنه بالرغم من أن قيادة ثورة ١٩ تمثل طبقة البورجوازية الزراعية المحافظة المفتقرة إلى الثورية فقد أندلعت نيران الثورة فمن إذن الذى حرك ثورة ١٩١٩ هذا التحريك الغنيف الذى جعل منها ثورة من أعنف الثورات التى اجتاحت المستعمرات فى الشرق بعد الحرب العالمية الأولى لا جدال فى أن الذى حرك الثورة هى جماهير الشعب المصرى وليس صحيحا أن الوفد هو الذى حرك الثورة بل أن هذه الثورة" قامت فجأة ولم يقع فيها تنظيم ولم تكن فيها رئاسة مدبرة على الإطلاق وأن مظاهرة الطلبة الأولى

وضعت على غير علم سابق من الوفد بل على خلاف التضحية التى سمعها الطلبة من عبد العزيز فهمى احد اعضاء الوفد عندما ذهب إليه وفد من الطلبة أثر إعتقال سعد ليعلنوا عن عزمهم على القيام بمظاهرات فكان رد عبد العزيز فهمى " إنكم تلعبون بالنار دعونا نعلم فى هدوء ولا تزيدوا من غضب الإنجليز"

ولقد كان أتجاه الثورة الشعبية إلى تحظيم وسائل المواصلات بين أنحاء البلاد إنما هو تدبير غريزى قصد به منع القوات البريطانية من التسرب إلى القوى لجمع السلاح ولا نتهاب الأقوات مأثورة ما ساروا عليه فى سنوات الحرب .

وتفاقمت الحال فى كثير من المدن وحدثت مجازر بشرية وكيد الوطنيون خسائر فادحة لعدم تكافؤ الأسلحة بين الوطنيين الأبرياء وقوات الإنجليز الغاشمة وإزاء اشتداد الثورة المصرية وامتداد لهيبها رات انجلترا إسترداد هيبتها التى كانت قد تضعضت نتيجة تفاقم الثورة وانتشارها بصورة مذهلة ولم يكن لها ممثل رسمى بالبلاد وقت إعلان الثورة ذلك أن " ونجت " كان قد سافر من مصر وظل محله شاغراً فوقع اختيار إنجلترا على أحد رجال إمبراطوريتها ممن يتمتعون بسمعه واسعة لإرهاب المصريين فى حركتهم فوقع اختيارهم على الجنرال اللنبى القائد العام لقواتها فى الشرق الأوسط وقاهر الأتراك فاتح فلسطين اختارته مندوبا ساميا لها فى مصر وكان لهذا المنصب مع وجود الاحكام العرفية ونظام الحماية ومؤازرة قوات إنجلترا له فى مصر كل هذا جعل إنجلترا تشعر بفخر وإعتزاز بإمكانية إعادة سيطرتها على الموقف وقمع الثؤرة -

جهود اللنبى لإخماد الثورة :

عينت الحكومة البريطانية الجنرال اللنبى مندوبا سامياً فوق العادة لمصر والسودان وكلفته بان بتخذ ما يلزم لإعادة القانون والنظام وتأييد حماية جلالة الملك على القطر المصرى على قاعدة ثابتة وصل اللنبى القاهرة يوم ٢٥ من مارس ١٩١٩ واتضح بمجرد وصوله أن هدفه الأول هو وضع حد الأضطرابات الموجودة وسرعان ما أتضل ببعض الاعيان وأوضح لهم:بأنه سيقوم بإجراء بعض التحريات ومحاولة العمل على أزالة أسباب الشكوى وطلب منهم مساعدته فى مهمته على أساس أن يتم ذلك فى ظل النظام القائم أى فى نطاق الحماية وهدف اللنبى من وراء ملكة هذا إظهار بلاده بمظهر الدولة التى تعمل منأجل إرساء قواعد العدالة وتلك سياستها التى اتبعتها دائماً لتخدير الشعور القوى فى الوقت الذى عقدت فيه إنجلترا العزم على ضرورة القضاء على الثورة وتدعيم نظام الحماية – فأتضل اللنبى بقادة الوفد فأكدوا له أن الثورة ترجع للاستياء العام من جراء منهم المصريين دون غيرهم من بسط آمالهم أمام مؤتمر الصلح .

كان الموقف إذن واضحا ولا يحتمل أى لبس من حيث رغبة انجلترا فى الإبقاء على نظام الحماية ولذلك لم تتراجع العناصر الوطنية فى ثورتها وأنها لا تزال فى الميدان ولا تزال متمسكة بمطالبها ومصرة عليها ولم يها تهديد السلطات الاستعمارية .

لم تفلح جهود ومحاو لات اللنبى من حيث بذرة الفرقة او الشقاق بين صفوف الوطنيين لإخماد الثورة ولذلك لجأت إنجلترا إلى انتهاج خطة جديدة أنها الخطة السياسية التى يمكنها بها وعن طريقها تفتيت المعسكر الوطنى وضرب القوى الواحدة بأخرى إنها سياسة التحقق فى أسباب الاستياء وبحث الموضوع من مجموعة إلى تفاصيله ووقانعه وأحداثه

والمساومة على كل بينه وكل شرط وكل مصلحة وبانتهاجها هذه السياسية بمكنها دون أدنى شكل إيقاف المعركة والإبقاء على مصالحها وامتيازاتها فى صلبها وأساسها إن وانتشحت سياستها الجديدة بلباس جديد .

لجنة ملنر :

رأت الحكومة البريطانية إذن إيفاد لجنة إنجليزية إلى مصر بعد أن تيقنت أن أحداث مارس سنة ١٩١٩ العنيفة لم تكن قاضزة على فريق من الأعيان المتنمرين وأن سياسة إلقاء القبض على زعماء الثورة ونفيهم إلى مالطة لم تسفر عن نتيجة فعالة لإخماد الثورة . فلما انفجرت أحداث مارس الرهيبة أقصاها إلى أقصاها وجدت الحكومة البريطانية نفسها فجأة امام حركة حقيقية لم تكن مستعدة لاجابة مطلب من مطالبها ليس امام الرأى العام البريطاني فحسب بل امام مصالحها الإمبراطورية أيضا فقررت أن تعدل سياستها بما يكفل إحباط الحركة وإخماد الثورة فأوفدت اللورد اللنبى إلى مصر لتحقيق غايتين: الأولى إخماد الثورة بالطرق التى يراها ضرورية لذلك ومنها السماح للوفد بالسفر إلى أوربا . والثانية إدارة البلاد بما تتطلبة ضرورة استمرار الحماية على مصر . وفى ذات الوقت شرعت الحكمة البريطانية فى تهئية الإطار القاننى الشرعى للحماية ذلك الإطار الذى كانت تتنفر إلية ولاذى كان يجعلها عرضة للتنديد بها فى المجال الدولى من قبل الوفد . وهذا الإطار القانونى لم يكن من المستطاع توفيره للحماية إلى بوسيلتين هما – الحصول على الاعتراف الدولى بهذه الحماية والثانية الحصول على اعتراف الشعب المصرى نفسه بها وكانت وسيلة الحكومة البريطانية لتحقيق الغرض الأول هو الضغط على الدول الصديقة ولاعدوة فى باريس للحصول على اعترافها بالحماية على مصر . أما الوسيلية لتحقيق الغرض الثانى فهو إرسال لجنة إلى مصر

لهذا الفرض تحت إسم لجنة تحقيق ، وليس من قبيل الصدف أن أول إشارة رسمية عن تأليف هذه اللجنة قد صدرت بينما كانت الحكومة البريطانية تبذل مساعيها فى باريس بين الدول لتعترف بالحماية . ففى يوم ٣١ مارس سال الكولونيل ودجود العضو بمجلس العموم الحكومة عما إذا كانت هناك خطوط تتخذ لإرسال لجنة تحقيق إلى مصر ؟ فرد ألملتر هارمز ورث بأنه وإن كان لا يستطيع فى تلك اللحظة أن يقرر ما إذا كانت حكومته سوف ترسل لجنة تحقيق إلى مصر أم لا إلا أنه يستطيع أن يعلن أن حكومته تنوى فى الوقت المناسب أن تجرى تحقيقاً وافيا فى أسباب الشغب الذى حدث فى مصر على أن يعاد القانون والنظام أولا على أنه فى اليوم التالى (أول ابريل ١٩١٩) أبلغت الحكومة البريطانية اللورد اللنبى أنها قد اقترحت إرسال لجنة تحقيق إلى مصر برئاسة اللورد ملنر وقالت أنها قعل ذلك تكملة لاقتراحة الإفراج عن سعد وصحبيه ولم يلبث اللورد كيرزن أن اعترف بمهمة اللجنة الحقيقة فى الشهر التالى (١٥ مايو ١٩١٩) فذكر أن هذه المهمة سوف تكون إزالة سوء التفاهم وتثبيت الحماية البريطاينة على أسس توجب رضاء الدولة الحامية وسكان البلاد على نسبة واحدة .

إذن فلم يكن الدفاع على التفكير فى إرسال لجنة ملنر إلى مصر هو رغبه الحكومة البريطانية فى إلقاء بعض مسئولياتها على كال لجنة التحقيق واحساسها بأنها لا تستطيع أن تتخذ قراراً فى المسألة المصرية إلا بناء على راى شديد ونصيحة طيبة لم تكن متاحة فى ذلك الحين كما يقول لويد ، كما لم يكن الدافع على ذلك هو أن لجان التحقيق تعتبر عادة السيلة المحبة لدى الحكومة البريطانية لحل المشاكل المعقدة سواء فى الداخل أو الخارج – كما يقول (ويفا) ٠

فالحقيقة أن الداع على إرسال اللجنة هو تنفيذ قرار لا التمهيد لاتخاذ قرار وليس أقطع فى الدلالة غلئ أهذا الراى من البلاغ الذى أصدره المندوب السامى فى ١٤ فبراير ١٩١٩ الذى أوضحت فيه بريطانيا سياستها نحو التمسك بالحماية وغرضها من إرسال اللجنة ومهمتها فى مصر فقد جاء فيه " أن سياسة بريطانيا العظمى فى القطر المصرى هى الإحتفاظ بالحكم الذاتى فيما autoumy تحت حماية بريطانيا وإنشاء حكومة Self Government تحت رئاسة حاكم مصر .

أما غرض بريطانيا العظمى فهو الدفاع عن مصر من كل خطر خارجى أو تدخل أية دولة أجنبية وفى الوقت نفسه تأسيس نظام دستورى يمكن السلطان ووزراء ومندوبى الأمة المنتخبين تحت إرشاد بريطانيا العظمى على قدر الحاجة من الإشتراك معاً فى إدارة الشئون المصرية كل فى مجالة الخاص وعلى أسلوب يزيد فيه نفوذهم على مرور الأيام "

وعليه قررت حكومة جلالته إرسال لجنة إلى مصر تكون مهمتها وضع تفاصيل دستور لتحقيق هذه الغاية ونقوم بعد أن تستشير السلطان ووزراءه وأصحاب الشان والرأى من المصريين بالأعمال الأوليةالتىآهنئ لازمة قبل تقرير الشكل المستقبل للحكومة .

وليس من وظيفة اللجنة فرض دستور على مصر إن مهمتها هى أن تدرس الأحوال درسا دقيق وتبحث مع أصحاب الشأن فى البلاد فى الإصلاحات اللازمة ثم تقترح بالإتفاق التام مع السلطان ووزرائة كما هو المأمول مشروع الحكومة أو " .. نظام الحكم " الذى يمكن وضعه موضع التنفيذ .

فهذا البلاغ تتحدث فيه إنجلترا فى السطور الاولى بصرحة مجردة عن سياستها بإعتبارها سياسة مقررة تحت التنفيذ وليست سياسة تنتظر فراغ اللجنة من مهمتها لتقريرها وهذه

السياسية تقوم على الحماية والإحتفاظ بها وعلى شراء موافقة الشعب المصرى عليها مقابل " تأسيس ناظم دستورى تحت إرشاد بريطانيا العظمى " .

ومع أن أول إشارة عن اللجنة كانت فى أول أبريل سنة ١٩١٩ الا أن الظروف لحسن حظ الحركة الوطنية قد أعطت مجيئها نحو ثمانية أشهر فإتصل إلى مصر إلا فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ ولقد كان اللورد اللنبى يود ان تصل اللجنة إلى مصر فى فترة الهدوء التى أعقبت أنتهاء حركة إضراب الموظفين وعلى هذا فقد أرسل إلى اللورد كيرزن فى يوم ٢٣ من أبريل سنة ١٩١٩ أى فى نفس اليوم اللذى عاد فية الموظفين إلى مكاتبهم برقية يلح فيها ليسمح له بإصدار بلاغا يعلن عن قدوم لجنة ملكية إلى مصر برئاسة اللورد ملنر وألح بان يكون سفر اللجنة فى منتضف شهر مايو ولكن اللورد كيرزن أجاب على هذا الطلب بعد لأى فى ١٠ مايو بان ' لورد ملنر لن يستطيع لأساب عديدة السفر إلى مصر قبل شهر سبتمبر.

ومهما يكن من أمر فإن تأجيل الحكومة البريطانية إبقاء اللجنة إلى مصر قد أثبت أنه سياسة خاطئة بالنسبة لمصالح إنجلترا فى مصر من حيث أنه لم يفسح المجال أمام المواطنين للتفكير فى مقاطعة اللجنة عند قدومها فحسب ء بل أفسح لهم الوقت أيضا للتدبير وفى الحقيقة فإن مقاطعة لجنة ملنر كانت العامل الحاسم فى تقرير مصير معركة الحماية .

على أن يجد بنا ان نشير إلى حقيقة يرددها كثير من الكتاب قواما أن الوفد ولجنت المركزية كانا بمعزل عن فكر مقاطعة لجنة ملفر وأنها وليدة تفكير مواطن مجهول نشر مقالا فى صحيفة ' النظام ' يدعو فيه المصريين جميعا إلى مقاطعة لجنة ملنر على أن بعض الكتاب يرى أن الآراء فى مصر أخذت تتلافى وتفترق حول الموقف الموحد الذى ينبغى على المصريين اتخاذه عند قدوم اللجنة إلى مصر وأن سيد على " صاحب جريدة النظام لخص هذه

الآراء فـى صـحيفته فـى ٢٤ مـن أغسـطس سـنة ١٩١٩ – أى قبـل أن ينشـر حسـن سـلامة المـواطن المجهـول مقالتـه بتـاريخ ٣١ أغسـطس سـنة ١٩١٩ – ذكـر ان بعـض الآراء تـرى فائـدة البحـث مـع اللجنـة والكشـف لهـا محمـد سـعيد باشـا لمراسـل ' الطـان' ويميـل إلـى تفضـيل الإمتنـاع عـن مخاطبـة اللجنـة إذا حضـرت قبـل أن يـتم شـئ مـن ذلـك وأمـا الـراى الثالـث فكـان أن اللجنـة لا تسـتطيع أن تـؤذى عملهـا إلا إذا اطلقـت لمصـر الـراى والفكـر وإلا إذا احـس المصـريون انهـم فـى حـل مـن إيـداء كـل راى يحـل فـى خـواطرهم بثقـة واطمئنـان ولا يكـون ذلـك لـى برفـع الاحكـام العرفيـة التـى تضـطر المفكـرين والبـاحثين إلـى الحيطـة والحـذر فـى كـل مـا يقولـون ، وقـد استصـوب – سـيد علـى – هـذا الـرأى ووصـفة بأنـة رأى صـائب ومطلـب عـادل » علـى أن هـذا لا ينفـى ان الوفـد ولجنتـه المركزيـة كانـا يمنـاى عـن البحـث واتخـاذ قـرار فـى هـذا الشـأن إذ مـن الثابـت أن عبـد الـرحمن فهمـى كـان صـاحب فكـرة المقاطعـة هـذه قبـل أن ينشـر حسـن سـلامة مقالتـه السـابق الإشـارة إليهـا – وذلـك حسـبما يتكشـف مـن الرسـائل المتبادلـة بـين عبـد الـرحمن فهمـى وسـعد ومـا جاء بمذكراته التى دونها بعد فترة وقوع هذه الحوادث .

علـى انـه مهمـا كـان مـن أمـر فقـد بـاءت محـاولات اللنبـى فـى مصـر لبـث الفرقـة والشـقاق بـين طوائـف الأمـة لضـرب الحركـة الوطنيـة مـن الـداخل بإثـارة النعـرة الدينيـة بـين الأقبـاط والمسـليمن وذلـك عـن طريـق تـأليف وزارة برياسـة يوسـف وهبـة بقصـد إيقـاع الفتنـه بـين المسـلمين والأقبـاط عنـدما احجـم جميـع المصـريون عـن قبـول مسـند الـوزارة فـى ظـل الحمايـة بإجمـاع الامـة وكـذلك عمـدت السـلطات البريطانيـة إلـى تـرويج فكـرة الحكـم الـذات تـى وقامـت بطبـع كتيبـات تـروج لهـذه الفكـرة قـام بتوزيعهـا مـورو التركـز وفضـلا هـذا كلـه فقـد عمـدت إلـى إغـراء عـددا مـن كبـار المـلاك مـن طبقـة أصـحاب الأراضـى ممـن كانـت تطلـق علـيهم سـلطات الإحـتلال قبـل إنـدلاع الثـورة – المعتـدلين والـذين كـانوا سـندا للإحـتلال ودعامتـه فـى ممارسـة أسـلوب الحكـم الغيـر مباشـر

مـن حيـث السـيطرة والهيئـة علـى دولاب العمـل وفـرض السـيطرة والإشـراف البريطـانى الـدقيق علـى الجهـاز الحكـومى بأسـرة اسـتطاعت إغـراء هـذا النفـر مـن المصـريين بتـأليف حـزب مصـرى يتبنـى فكـرة الحكـم الـذاتى ويتخـذها برنامجـاً ومنهجـاً ويتـولى مقابلـة اللجنـة فـى أثنـاء غيـاب الـوطنيين بسـبب المقاطعـة ولقـد كـان الـدافع الأكبـر مـن وراء كـل هـذه المحـاولات لتفتـت قـوى الأمـة تـوفير الجو الملائم لنجاح لجنة ملنر فى مهمتها عند قدومها إلى مصر.

مقاطعة لجنة ملنر:

ولـم تكـد تصـل لجنـة ملنـر حتـى رأت الادلـة الكثيـرة علـى وجـود معارضـة شـديدة ومنظمـة لمقاومتهـا وفـي اليـوم التـالي لوصـولها أصـدرت لجنـة الوفـد المركزيـة بيـان الـى الامـة المصـرية جـاء بـه " لقـد أجمعـت الأمـة المصـرية علـى مقاطعـة لجنـة لـورد ملنـر وبتـت هـذه الخطـة السياسـة علـى الأسباب المشروعة الآتية :

أولا : لأن المسـألة المصـرية مسـألة دوليـة فقبـول المفاوضـة مـع لجنـة ملنـر يفقـدا هـذه الصيغة ويجعلها مسألة داخلية بيننا وبين إنجلترا .

ثانيـا : لان اللجنـة تريـد المفاوضـة علـى أسـاس الحمايـة مـع أن الامـة لـم تقبـل الحمايـة بـل رفضتيا رفضا باتا وأعلنت أنها لن ترضى بغير الاستقلال التام .

ثالثـا : لان كـل اسـتفتاء سياسـى لا يجـوز أن يكـون فـى ظـل الأحكـام العرفيـة والقـوانين الاسـتثنائية فإصـرار الحكومـة الإنجليزيـة علـى إرسـال هـذه اللجنـة بـالرغم مـن إجمـاع الأمـة الـذى تجلـى فـى كثيـر مـن المظـاهر لا يفيـد إلا أن السياسـة الحاضـرة تريـد ان تسـتخدم كـل مـا لـديها مـن الوسائل للتأثير فى الإجتماع القومى .

واستطرد البيآن قالا "آن الحكومة الإنجليزية فى حاجة إلى موافقة المصريين على حمايتها لان الحماية لا يمكن ان تكتب أية صفة شريعة ولو صدقت عليها جميع الدول مادام الشعب المصرى هو صاحب الشان وحده لا يقبلها فتمسك الأمه بعدم مفاوضة اللجنة أو بالأحرى تمسكها برفض الحماية أمر مشروع فضلا عن أن المصريين لا يملكون اتباع سبيل آخر لأن كل مساومة للتنازل عن الإستقلال أو لنقل السيادة المصرة إلى دولة أجنبية لا قيمة لها من الوجهة الطبيعية ولا القانونية وتكون كل مفاوضة فى هذا الشأن مجردة من أى صبغة شرعية ولا تلزم الأمة شينا .

كانت إنجليترا تريد دراسة المسألة المصرية على طريقتها هى لكن الشعب المصرى كان مؤمناً بحقوقه فقاطع لي. اللجنة مقاطعة تامة ولأعلن رأية فيها وقد أدركت لجنة ملنر إجماع الشعب المصرى على رفض الحماية واستنكارها وأن ليس أمام إنجلترا إلا أمران : إما سحب الحماية وإما الاستمرار فى سياسة العنف وهذه سياسة لن تؤدى إلا إللى عكس أغراضها.

وثمة حقيقة جوهرية ينبغى الإشارة إليها قوامها ان هذا السياج المنيع الذى أقامة الوطنيون لمقاطعة اللجنة لم يحل دون إتصال للجنة كبار الساسة المصريين الذين كانا يمون منذ لبداية سلماً خلفياً للحركة الوطنية ممن أطلقت عليهم سلطات "الإحتلال من قبل اندلاع ثورة ١٩١٩ أضحاب المصالح الحقيقة فى البلاد والمعروفين بآرائهم المعتدلة هولاء كان يمثلهم الوزيران رشدي وعدلي كان هذا هو دورهما الذي رسم لهما وقت تشكيل الوفد ليتوليا مهمة تنظيم العلاقة بين مصر وانجلترا في حدود الحماية في حالة فشل الوفد في تحقيق الاستقال التام.

ومـع أن الإتفـاق كـان تامـا بسـان سـداد خطـة المقاطعـة وقضـية دوليـة المسـألة المصـرية إلا أن الوفـد وبعـض الساسـة المصـريين كـان يسـاورهم القلـق بسـبب تنكـر الـول لحـق تقريـر المصـير وخشـية أن تنتهـي هـذه المقاومـة السـلبية إزاء لجنـة ملنـر إلـى نتيجـة سـلبية أيضـا بالنسـبة للقضـية المصـرية، ولهـذا فقـد كانـت الصـيغة التـي روج لهـا الوفـد فـي ذلـك الحـين ليـرد بهـا الشـعب علـى اسـئلة اللجنـة أن العيئـة الوحيـة التـي تملـك التحـدث إليهـا هـي الوفـد المصـري المقـيم فـي باريس.

الفصل الخامس

ثورة ١٩١٩

الفصل الخامس

ثورة ١٩١٩

أسباب الثورة

اولا : الاسباب السياسية

ترجع الثورة إلى تذمر الشعب من حالتة السياسية، وتطلعه إلى ما يصبو إليه من حرية واستقلال .

ظل العب المصرى السنين الطوال يعانى احتلالا أجنبياً، اصيبت به البلاد منذ ١٨٨٢ ولم تكن مصر أقل من غيرها من الامم المتمدنة شعوراً بالجياة القومية ، وكان الشعب يسمع من الحكومة البريطانية بين حين وآخر وعوداً وعهوداً بالجلاء عن البلاد، ولكنه شهد على مر السنين نقض هذه الوعود والعهود .

شهد لتغلغل فى شنون الحكومة كبيرها وصغيرها، وشهد السعى لفصل السودان وسلخه عن جسم الوطن، واستنثار إنجلترا بحكمة وشهد إلغاء الجيش المصرى وتجريد البلاد من كل قوة حربية ث وشهد تعيين المستشارين الإنجليز فى مختلف الوزارات ، وشهد مصرع الحكومة الاهلية، وأصدر الإستقلال ، وإلغاء مجلس النواب ، وإبطال النظام الدسورى الذى نالته من قبل ، والذى كان أداة لمقاومة التدخل الاجنبى، فلقد الغاه الإحتلال عام ١٨٨٣ وإنشاء بدلاً منه نظام صوريا قوامه مجلس شور ى القوانين والجمعية العمومية ثم الجمعية التشريعية منذ ١٩١٣ » ولكها هيئات شورى صورية .

تعاقبت هذه الاحداث على البلاد ، بينما كانت الامة ترتقب أن تنجز إنجلترا وعودها وعيودها فى الجلاء إذا بالإحتلال يتفاقم ويزداد رسوخا بإعلان إنجلترا حمايتها على مصر فى ديسمبر ١٩١٤ فصار إحتلالاً مقرونا بحماية ، وبذلك ساء مركز مصر السياسي وازدادت بعداً عن أهدافها القومية .

ومع إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ أعلنت السلطات البريطانية تأجيل اجتماع الجمعية التشريعية إلى أجل غير مسمى وضماناً لعذم حدوث رد فعل لهذا التأجيل، ونظرا لعدم وجود نص فى القانون النظامى يمنع أعضاءها من الإجتماعات الخاصة صدر قانون منع التجمهر فى أكتوبر ١٩١٤ فى ١٨ اكتوبر ١٩١٤ وفى ١٨ ديسمبر تم وضع مصر تحت الحماية الإنجليزية وزوال السيادة التركية -

وعلى الرغم من إعلان إنجلترا أن مصر لن تتأثر بالمجهود الحربى بمناسبة إعلان الحرب بينها وبين تركيا، لأنها أخنت على عاتقها وحدها جميع أعباء الحرب دون أن تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة .

إلا أنه فى عام ١٩١٤ أرسلت مدفعية مصرية للمساهمة فى الدفاع عن قناة السويس، وفى يناير ١٥ أستطاعت فصيلة من الجنود المصرين هزيمة القوات التركية فى موقعة الطور بسيناء وفى فبراير وصلت القوات التركية إلى قناة السويس و أشترك المصريين والإنجليز فى ردها .

واستجابة لطلب الحملة العسكرية الإنجليزية للبجر المتوسط فى أغسطس ١٩١٥ تم جمع نحو ٥٠٠ عامل من صعيد مصر لان لديهم قدرة كبيرة على الإحتمال وأرسلو إلى جزيرة مودروس وقد أى نجاحهم فى هذه الجزيرة إلى طلب أعداد أخرى من العمال المصريين الذين

بلـغ عـددهم يـوم الإنسـحاب مـن غـاليبولى نحـو ٣٠٠٠ رجـل مـن الصـعيد حققـوا هنـاك نجاحـا عظيمـاً خاصـة فـى حفـر الخنـادق تحـت وابـل مـن القنابـل ، كمـا سـاهمت قـوات مصـرية أخـرى فـى صد زحف السنوسيين فى نوفمبر وطرد قواتهم من مطورح والسلوم مساعدة للبريطانيين .

لـيس هـذا فحسـب قـإن " مكمـاهون " المنـدوب السـامي البريطـانى شـرع فـى اول نـوفمبر فـى إجـراء أكتتـاب عـام لصـالح جرحـى الحـرب البريطانيـة وفرسـان القـديس يوحنـا لبريطـانيين واسـر جنـود الحلفـاء المنكـوبين يـدفع باسـم الصـليب الأحمـر، وصـدرت الأوامـر لرجـال الإدارة بجمـع هـذه الأموال . وجار العمد والموظفين على الأفراد العاديين .

أضـاف إلـى ذلـك هـذه الأسـباب ترجـع ألـى سـوء معاملـة الإنجليـز للمصـرين ، فقـد أرتكـب الإنجليـز أسـوأ الأخطـاء إذ أتـوا بجنـود مـن المسـتعمرات إلـى الـبلاد المصـرية مـن غيـر أن يـذكروا لهـم شـيئاً عـن السـكان الـذين سيعيشـون بيـنهم، وقـد بلـغ مـن جهـل هـؤلاء الجنـود أن كـانوا يظنـون أن مصـر بـلاد إنجليزيـة ،وأن المصـريين قـوم دخـلاء ويعجبـون كيـف سـمح لهـؤلاء العبيـد أن يـأتوا إلـى هـذه الـديار » ويقـول أحـد الأسـتراليين " لـو كـان الامـر بيـدى لمـا أبقيـت عـل واحـد مـن المصريين فى هذه البلاد " وكان يعامان المصربين بأشد أنواع القسوة والاحتقار .

كمـا قامـت السـلطات البريطانيـة بجميـع الآلاف مـن العمـال المصـريين وسـخرتهم فـي الإمـداد لحملـة فلسـطين ، كمـا ازداد الطلـب الحربـى البريطـانى علـى المصـريين بـالإكراه وكانـت حملـة المتطـوعين ى وذلـك عنـدما أراد الإنجليـز أقـتحم مضـيق الـدردنيل عنـوة وكلـف العمـد فـى بعـض المـديريا بـالقبض علـى النـاس وتسـيرهم إلـى ميـادين القتـال المختلفـة مثـل سـيناء وفلسـطين وجزيـرة غـاليبلى علـى ضـفة الـدردنيل والعـراق وفرنسـا حيـث أدت هـذه الفرقـة أعمـلاً لا يمكـن تقـدير قيمتهـا ٠ وقـد أغضـب المصـريين أسـتخدام العمـال فـى إنشـاء سـكة حديـد سـيناء والـذي صـحبه

استيلاء السلطات البريطانية على دواب الحمل ووسائل " النقل وعلف الدواب رغم انف المصريين .

ليس هذا فحسب ففى ٢٠ يناير ١٩١٦ طلبت السلطات البريطاية بمصر جميع أفراد الرديف من جميع الفرق للخدمة العسكرية ما عذا الموجودين منهم فى خدمة الحكومة، وقد وافق مجلس الوزراء على ذلك ، كما كان لمبادئ الرئيس الامريكى ولسن خاصة مبدأ حق الشعب فى تقرير المصير أثر كبير من إنهاض الشعب ،وثورته .

نانيا: الاسباب الاقتصادية

إن أهم أسباب الأزمة الإقتصادية التى كانت تعانى منها مصر فى وجود قوات الإحتلال البريطانى تضخم الإمتيازات الأجنبية ويكفى أن نقول أن نسبة الأجانب أرتفعت بشكل كبير، الخبراء الأجانب فى كل التصالح الحكومية ، المدرسون الأجانب فى كافة مراكز التعليم وفى الوقت الذى كان مرتب سعد زغلول لا يزيد على ٢٥ جنيه كان مرتب أحد المدرسين الأجانب أربعين جنيها .

وفى ظل اتباع سياسة الباب المفتوح وإفساح المجال، لمزيد من غزو رأس المال الاجنبى قضى على الصناعات المصرية والتى تعمد المستعمر ان يقضى عليها وفى. أحد تقارير اللورد كرومر عن الحالة المالية والإدارة فى مصر كان يفخر بأن المقاهى المصرية كانت مليئة بالعمال العاطلين وأن الصناعات المصرية قد قضى عليها وحلت محلها الصناعات الأجنبية .

وفـى خـلال عـام ١٩١٥ كانـت حالـة مصـر سـيئة للغايـة حيـث أنقـع ورود ال١ب الـذى كـان يصـل إليهـا كـل. عـام فـي المواسـم التجاريـة بسـبب إغـراق السـفن التـى كانـت تجلبـه مـن الخـارج بواسـطة الغواصـات المعاديـة التـى كثـر ظهورهـا فـى كـل البحـار وهبطـت أسـعار القطـن إلـى حـد كبيـر ممـا ادى إلـى الركـود الشـام فـى السـوق التجاريـة وتحديـد مسـاحة الأراضـى المزروعـة قطنـا وتـأليف لجنـة إنجليزيـة لمراقبـة تصـدير القطـن بأسـعار منخفضـة إلـى إنجلتـرا وأرتفعـت أسـعار السـلع الإسـتهلاكية وأجـور المواصـلات » بينمـا لـم يـزد دخـل أفـراد الطبقـة الوسـطى رغـم زيـادة تكـاليف الحايـة وذلـك بسـبب جعـل مصـر قاعـدة للمخـابرات البريطانيـة والعمليـات الحربيـة فـى الشـرق الأدنـى . كمـا تعـذر اسـتيراد كثيـر مـن المـواد المصـنوعة ، ممـا سـاعد علـى إنشـاء عـدة مصانع قام بها أصحاب رؤوس الأموال لإنتاج ما كانت تستورده البلاد قبل الحرب .

و أشـتدت الحكومـة فـى جمـع الضـرائب لصـالح الإسـتعمار بقسـوة وعنـف ، ومـع إنخفـاض سـعر القطـن اضـطر الفلاحـون إلـى بيـع مصـاغ زوجـاتهم وحلـيهم ثـم الماشـية والـدواجن ، أو الإسـتدانه مـن المـرابين بالربـا الفـاحش لأداء المـال المطلـوب وكانـت فرصـة إنتهزهـا العمـد والمـديرون وتجـاز الغـلال حيـث أسـتولوا علـى المحاصـيل بأسـعار رخيصـة ثـم باعوهـا للفلاحـين مـرة أخـرى بأسـعار باهظـة ، ممـا زاد احسـاس الفلاحـين بـالظلم النـاجم مـن تشـكيل فرقـة العمـل المصـريين وجـع المحاصـيل للجـيش وقيـام السـلطة العسـكرية بتحديـد أسـعار هـذه المحاصـيل بنفسـها لنفسـها، وتلـزم النـاس قبولهـا وتأخـذها بأثمانهـا الضـئيلة وتبيعهـا للـدول الأخـرى بالأثمـان العالميـة وضـغط الموظفـون الأنجليـز علـى المصـريين وسـجنوا الكثيـر مـنهم بـدعوى أنهـم قـد يناوءون الاحتلال .

وأنت الأزمة فى بعض الجهات إلى صدام بين الفلاحين والحكومة بعد ان بات الفلإحون مضطرين إلى مقاومة الحجز على اقطانهم فلجأوا إلى رمى البوليس بالحجاة وإقامة المتاريس وقطع خطوط الهاتف ، وكان مصرح إحدى هذه الأحداث " منشية الاخوة " بالدقهلية.

وليس ادل على استفحال الأزمة فى الريف المصرى واستهانة رجال الإدارة بالفلاحين من لجوء الإدارة إلى خلع بيوت الفلاحين بالقوة والهجوم على محاصيلهم وبيعها استيفاء للضرائب -

وبلغ الدين العام الذى على مصر للماليين الأجانب نحو ٩٩ مليون جنية وإذا كانت سنى الحرب فرصة لنمو الرأسمالية المصرية على حساب الرأسمالية الأجنبية فعنه ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى عادت الأمور إلى سابق عهدها وبالتالى خشيت الرأسمالية المصرية ضياع مكاسبها فرات فى الثورة فرصة للقضاء على العنصر الأجنبى أو على الأقل للحد منه وهذا يفسر لنا تأييد الرأسمالية المصرية لثورة ١٩١٩ .

وساعد على نمو البرجوازية الناشئة فى مصر إبان الحرب حاجة الجيش البريطانى وقد تضخم عدده إلى صناعات الغذاء والكساء والذخيرة وصيانة الإسلحة ة لا سيما وقد زادت نفقات هذا الجيش بنحو خمسة ونصف مليون جنية ، وبجانب ذلك تزايدت حاجة السوق الوطنية إلى بعض النسائج الشرقية التى توقف وردوها من الشام نتيجة للحرب و أصبحت تنسج فى القاهرة .

ونتيجة لنمو البرجوازية الوطنية فقد زاد حجم الطبقة العاملة المصرية أيضاً، ورغم ذلك أنتكست الحركة النقابية بدلا من نموها بنمو الطبقة العاملة ى وذلك أن الأحكام العرفية

زادت ظـروف العمـل سـوءا فـإذا اخـذنا فـى الإعتبـار أن الرخـاء النسـبى الـذى جلبتـه الحـرب لـم يسـتفد منـه إلا التجـار مـلاك الأراضـى الزراعيـة ، امـا العمـال فلـم تـزداد دخـولهم بـرغم أرتفـاع تكاليف المعيشة ، ومن ثم كان اشتراك العمال فى ثورة ١٩١٩.

وسـاعد حلـى ثمـو البرجوازيـة التاشـئة فـي مصـر إيـان الحـرب حاجـة الجـيش البريطـاني وقـد تضـخم عـدده إلـى صـناعات الغـذاء والكسـام والأخيـرة وصـيانة الإسـلحة، لا سـيما وقـد زادت نفقـات هـذا الجـيش بنحـو خمسـة ونصـف مليـون جنيـة، وبجانـب ذلـك تزايـدت حاجـة السـوق الوطنيـة إلـى بعض النسائج الشرقية التى توقف وردوها من الشام نتيجة للحرب وأصبحث تنتج فى القاهرة .

ونتيجـة لنمـو البرجوازيـة الوطنيـة فقـد زاد حجـم الطبقـة العاملـة المصـرية أيضـا، ورغـم ذلـك أنتكسـت الحركـة النقابيـة يـدلا مـن نموهـا بنمـو الطبقـة العاملـة ؛ وذلـك أن الأحكـام العرفيـة زادت ظـروف العمـل سـوءاً ، فـإذا اخـذنا فـى الإعتبـار أن الرخـاء النسـبى الـذى جلبتـه الحـرب لـم فقد متلـه إلا التجـار ومـلاك الاراضـي الزراعيـة، أمـا العمـال فلـم تـزداد دخـولهم بـرغم ارتفـاع تكـاليف المعيشة، ومن ثم كان اشتراك العمال في ثورة ١٩١٩.

وأكثـر مـن ذلـك فقـد احتكـرت الحكومـة البريطانيـة بـذرة القطـن جميعهـا مـن محصـول عـام ١٩١٧ بسـعر أقـل مـن سـعرها الحقيقـى وألغـت الحكومـة فـى نلـك السـنة اوامـر تصـدير القطـن، وحصـرتها فـى عـدد مـن بيـوت التصـدير، وكلهـا أجنبيـة، فكـان الإحتكـار وسـيلة للـتحكم فـى أسـعار مـا تشـترية مـن المحصـول وبـذلك ربحـت هـذه البيـوت الملايـين مـن الجنيهـات علـى حسـاب المنـتج البائس.

وأصـيبت مصـر بخسـارة إقتصـادية فادحـة فـى موسـم ١٩١٨ إذ احتكـرت البريطانيـة محصـول القطـن جميعـه فـى ذلـك العـام ويـدخل فـى سـباق الأسـباب الإقتصـادية للثـورة مصـادرة

السلطة العسكرية لأرزاق الناس وحاصلاتهم ومواشيهم ودوابهم مما سبق عنه الكلام ثم تخفيض مساحة الأراضى المنزرعة قطنا طيلة مدة الحرب توفيرا لمئونة الجيوش البريطانية وحلفائها ، وجملة القول أن الأسباب الاقتصادية كان لها دخل كبير فى قيام الثورة .

ثالثا: الأسباب الاجتماعية

كثر الأربيون الغامرون الذين جاءا مصر يغترفون من أموالها وكفل لهم نظام الإمتيازات الأجنبية حرياتهم فجمعوا الثروات الضخمة على حساب الشعب وشيدوا القصور وعاشوا عيشة الامراء ، واصبوا من أصحاب المصانع الكبرى فى الدولى ، فراح الألمان يتسللون إلى بعض الوظائف العلمية ورضى الإنجليز بذلك ، و أخذ الفرنسيون ينشرون ثقافتهم فى المحاكم ودور التعليم والشركات ، واقتفى اثرهم فى ذلك الإيطاليون واليونانيورن حيث تمادوا فى الإستغلال حتى فى أصغر الوظائف الإجتماعية .

واستولى الإنجليز على أهم المراكز والمناصب فى مصر، إذ قامت السياسية الإنجليزية على اتساع نطاق الوظائف لهم فى الحكومة، وأصبح الموظف المصرى آلة فى يد الإنجليز علية حق الإصغاء وفى الحقيقة الأمر فقد خضعت المناصب الدنيا للمصريين ، وقصرا المناصب العليا على غير المصريين بصفة عامة -

وكون الارمن جالية خالصة بعم ومارسوا العمل الإقتصادى ومنهم الذين أحنلوا مكانة مميزة فى المجتمع المصرى ، فقاموا بالأعمال والصرف وصناعة السجائر والتجارة والسياسية ى وكان لهم دور بارز فى النشاط الشيعى فى مصر ، وأنهم أول من أنشاء أول حركة اشتراكية ظهرت فى مصر عام ١٨٩٥ بإنشاء نقابة عمال الأحذية بالإسكندرية، وقد شاركهم

اليونـــانيين . وزاد عـــددهم بقيـــام الحـــرب حيـــث قاســـوا مـــن الإضـــطهادات فـــى تركيـــا والشـــام مما.أضطرهم إلى الهجرة إلى مصر .

واسـتفاد اليهـود منظـروف الحـرب وذلـك لـدرايتهم وكفـاءتهم مـن الشـئون الإقتصـادية، حيـث كـانوا يطوفـون فـى الأسـواق بمصـر والأقـاليم لالتقـاط الجنيهـات الذهبيـة التـى يجـدونها بـين يـدى الجمهـور أو لـدى ويـدفعون عـن كـل جنيـة أربعـة أو خمسـة مليمـات زيـادة علـى سـعره الرسـمى (٩٧٥ مليماً) -

إن ظـــروف الحـــرب أدت إلـــى إنقطـــاع ســـيل رؤوس الأمـــوال الاجنبيـــة وتصـــفية عمـــال الرأسـماليين، الأجانـب مـن رعايـا ألمانيـا وحلفائهـا . وإغـلاق بعـض البنـوك أبوابـه وإشـتداد الحاجـة إلـى صـناعات مختلفـة لسـد حاجـة الشـعب والجـيش المـرابط فـى أرض مصـر، كـل هـذا اتـاح للرأسـمالية المصـرية الفرصـة للنـزول إلـى الأسـواق ارتفعـت رؤوس الأمـوال المصـرية فـى البنـوك ارتفاعـا سـريعا وخاصـة فـى البنـك الأهلـى الإنجليـزى التضـرى - كمـا ظهـرت الصـناعات الوطنيـة بسبب قلة الوارد من الخارج .

أمـــا عـــن المثقفـــين فقـــد ارتفعـــت أصـــوات المفصـــولين مـــن وظـــائفهم بســـبب إلغـــاء تلـــك الوظـائف أثنـاء فتـرة الحـرب وأصـبح الحـال بالنسـبة للعمـال ، امـا الفلاحـون فقـد عـانوا أشـد القسـوة والعنـف أثنـاء الحـرب كمـا سـبقت الأشـارة إلـى ذلـك ن وكـل ذا أدى إلـى كثيـر مـن الفقـر والجهـل والجـرائم والسـرقات ، وعـانى المجتمـع المصـرى أبـان هـذه الفتـرة مـن الـدعارة وتجـارة الرقيـق الأبـيض بسـبب الضـائقة. الإقتصـادية خاصـة بـين اليهـود والأرمـن خاصـة بعـد وجـود الأعـداد الـوفيرة مـن الجنـود التـابعين للأمبراطوريـة البريطانيـة واغـداقهم علـى هـذه الوجـوه وانتشـرت البيـوت

السرية فى القاهرة و لاإسكندرية وحواضر المديريات ، حيث سوء سلوك جنود الإمبراطورية ، لذا كان لكل هذه المساوئ أثرها فى انهاض الشعب المصر ضدها ومشاركة فى ثورة ١٩١٩ .

رابعا: الأسباب الفكرية:

كان لصدور قانون المطبوعات أثره فى الحد من حرية الكلمة كما كان لأغلاق صحف الحزب الوطنى أثر أكبر فى حرمان الشعب من منارة الوطنية التى قدمت للجماهير الكثير لمت الشعب لم يحرم من الزاد القرى فى الكثير مما كتب سواء فى صحف وطنية أو ما حملته نفوس المصريين الذين شاركوا فى الأعمال الحربية ، داخل مصر وخارجها ثم عدوا لبلادهم .

وفي الوقت الذي كانت فيه الثقافة والتعليم يتدهوران فتحرم الجامعة المصرى التى جاهدت الأمة من أجلها، تحرم من الإعانة السنوية للأوقاف ، كما تحولت المدارس المصرية إلى مستشفيات عسكرية لجرحى الحرب من الإنجليز وحلفائهم .

وكان للحرب أثرها غير المقصود فى اسناد بعض وظائف التدريس فى المدارس العليا للمدرسين المصريين ودائماً تطعن إنجلترا فى كفاءة النصريين فمنعوا من التدرس فى مدرسة الطب إلى ان تغيب المدرسين الإنجليز بسبب الحرب اسندت كثير من الوظائف التدريسية إلى بعض المصريين، كما الغيت لمجانية من مدرسة المعلمين السلطانية، وكذلك في مدرسة الحقوق السلطانية وغيرها .

مقدمات الثورة :

اعتقدت إنجلترا أن الشعب المصرى مادام لم يثر بسبب الغاء الحماية التى فرضت عليه فلن يثور أبدا، وقد استغرب وينجت من طلب سعد زغلول وصحبه الحرية والإستقلال

لمصـر ، ورغـم أن الثلاثـة كـانوا أعضـاء فـى الجمعيـة التشـويعية وهـى الهيئـة البرلمانيـة الشـرعية وكـانوا منتخبـين " لأن بعـض أعضـائها كـانوا معينـين " إلا ان المعتمـد البريطـانى تعجـب مخاطبـأ رئـيس وزراء مصـر ، هـؤلاء الثلاثـة مـن يمثلـون الوفـد ؟ اولقـد بـدأت حركـة جميـع العـرائض فـى مصـر لإثبـات شـرعية تمثيـل الوفـد للشـعب المصـرى بكافـة طبقاتـه ، ورفـض وينجـب أن يعتـرف باى صفى تمثيلية لسعد وزميليه .

وقـد تكـون الوفـد فـى بـادئ الأمـر مـن (سـعد زغلـول وعلـى شـعراوى ومحمـد محمـود وعبـد العزيـز فهمـى ولطفـى السـيد ومحمـد علـى علويـة وعبـد اللطيـف المكبـانى) وكانـت تجمعهـم رابطـة العضوية فى الجمعية التشريعية عدا محمد محمود وأحمد لطفى السيد .

عمـل الوفـد علـى أن يثبـت لهيئـة صـفة التحـدث عنالأمـة ، ورأى أن الوسـيلة العمليـة فـى ذلـك الوضـع صـيغة توكيـل يوقعهـا أعضـاء الهيئـات النيابيـة القائمـة ذلـك الحـين، كالجمعيـة التشـريعية ومجلـس المـديريات والمجلـس عمـل الوفـد علـى أن يثبـت لهيئـة صـفة التحـدث عـن الأمـة ، وراى أن الوسـيلة العمليـة فـى ذلـك الوضـع صـيغة توكيـل يوقعهـا أعضـاء الهيئـات النيابيـة القائمـة ى ذلـك الحـين ، كالجمعيـة التشـريعية ومجلـس المـديربات والمجـالس البلديـة وغيرهـا وأكثـر عدد ممكن من نوى الرأى والأعيان وسائر طبقات الشعب -

طبعـت التـوكيلات و أذيعـت الصـيغة بـين أعضـاء الهيئـات النيابيـة والجماعـات المصـرة علـى إخـتلاف طبقاتهـا للتوقيـع عليهـا ، فأقبـل النـاس عـن طيـب خـاطر وحماسـة يوقعـون عليهـا فـى مختلـف الأوسـاط ، وانتشـرت مـن العاصـمة إلـى الأقـاليم، فصـادفت نفـس الحماسـة التـى قوبلـت فـى القاهرة .

ولما كانت وزارة رشدى مؤيدة للوفد فقد أصدرت تعليماتها إلى مديرى الأقاليم بعدم التعرض لحركة التوقيع على توكيل الوفد ، فساعد ذلك على انتشار الحركة واتساع مداها .

وفى الوقت نفسة عندما رأت سلطات الإحتلال أن حركة التوكيلات أخذه فى الاتساع فى المدن والأقاليم ، وأن ذلك أساس لحركة عامة للمطالب بالإستقلال التام ، فقد خشيت من ذلك وعملت على احباطها فأصدر المستشار البريطانى لوزارة الداخلية ' هينز " اوامره إلى مديرى الأقاليم بمنع تداول التوكيلات أو التوقيع عليها، وما ساعد على نمو الحركة هو خلاف الوزارة الرشدية مع السلطة البريطانية .

ثم ضم الوفد غليه أعضاء آخرين لاستكمال بعض العناصر التى تمثل طبقات الامة وهم " حمد الباسل واسماعيل صدقي ومحمود أبو النصر وسنوت حنا وجورج خياط وواصف غالى وحسين واصف وعبد الخالق مدكور " .

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ طلب سعد زغلول بصفته رئيسا للوفد من قيادة الجيش الإنجليزى جوازا له ولأعضاء الوفد بالسفر إلى انجلترا ، ولكن السلطة العسكرية ردت _ بعد أن استعجل سعد زغلول طلب هذا برسالة أخرى فى ٢٨ نوفمبر _ بما يدل على نيتها فى تعطيل سفره فكتب سعد إلى وينجت فى ٢٩ نوفمبر رسالة يطلب اليه فيها التوسط ، وجاء الرد فى أول ديسمبر وفيه:

أولا : أن المندوب السامى ، بعد استشارة حكومية جلالة الملك لا يستطيع التوسط لدى السلطة العسكرية في هذا الموضوع .

ثانيا : يدعوه المندوب السامى الىأن يقدم إليه كتابة، ما يريد تقديمة من اقتراحات بخصوص كيفية الحكم فى مصر ، بشرط " ألا يخرج ذلك عن الخطة التى رسمتها حكومة جلالة الملك وأعلنتها من قبل " يقصد بذلك الحماية ، وبذلك حددت انجلترا موقفها من الوفد وهذا الموقف الذى تشبثت به إلى أن زحزحتها عنه ثورة ١٩١٩ ، وهو يقوم على أساسين : الاول : عدم تمكين الوفد من السفر إلى الخارج وحصر نشاطة فى دائرة ضيقة لا تتعدى القيام بمخابرات بسيطة مع دار المندوب السامى، والثانى التشبث بالحماية .

وفى ٢ ديسمبر قدم رشدى استقالته حيث سجل منها رفض الحكومة البريطانية سماع أقواله وتسويقها فى سفره ، ولكن سعد تأم لان رشدى لم يسجل في استقالته منع الوفد من السفر، واعتذر رشد عن هذا ، ووعد بأن يفعل فى المرة القادمة لأن السلطان رفض استقالته كما رفضها المندوب السامى ، والواقع أن رشدى قدم هذه الإستقالة يأسا من تقديم السياسة البريطانية لأية تنازلات بشأن الحكم الذاتى وتنظيم الحماية فان " برونبيت " الذى ترأس اللجنة الخاصة بالإصلاح الدستورى والأمتيازات فى أخر١٩١٧ قدم مقترحاته – بعد انتهاء اللجنة من علمها إلى رشدى ولحلفها الأخير فى الآتى :

لولا : تأليف مجلس نواب من المصريين وله سلطة استشارية ومجلس أعيان له السلطة التشريعية والفعلية ويتكون من :

أ) الوزراء المصريين والمستشارين الانجليز ومن مرتبتهم من الموظفين الإنجليز وهؤلاء يمثلون الأعضاء الرسميين .

ب) ثم أعضاء منتخبين منهم ١٥ أجنبيا و ٣٠ مصرياً، وبالتالى فإن أغلبية مجلس الأعيان تكون للإنجليز والأجانب وحدهم بل فيما يسرى على المصريين أنفسهم.

ثانيا أجاز مشروع " برونييت " فى الحالات العاجلة تقديم مشروعات القوانين مباشرة إلى " مجلس الأعيان " وذهب برونييت إلى أن حق الشعوب الصغيرة فى حكم نفسها بنفسها وتولى إدارة شئونها هو أمر مقبول بالنسبة للشعوب التى تتألف منها أمة متجانسة وليس هذا حال مصر . وقد اعتبر رشدى ان ذا المشروع " ضم واستلحاق " وقلب للحماية إلى " ضم مجرد بسيط ' الفرض من هذا المشروع هو اقناع الأجانب بالنزول عن امتيازاتهم حتى تنحصر السلطة كلها فى أيدى بريطانيا ولا تكون مصر إلا بمثابة مستعمرة بريطانية ، وهو الامر الذى أغضب المصريين ووحد بين المتطرفين و المعتدلين .

وفى ٦ ديسمبر أرسل الوفد نداء إلى معتمدى الدول الأجنبية بمصر احتجاجاً على الخطة التى اتخذت من جانب انجلترا لمنع الوفد من السفر ولمنع نشر أخذ رأى الأمة المصرية فيه ، ثم توالت النداءات والبيانات ومنها برقيات من الوفد للدكتور ولسن بباريس فى ١٤ ديسمبر ، ٢٦ ديسمبر ، ٣ يناير ١٩١٩ بالإحتجاج بشدة على كل اعتداء على حقوق مصر الشرعية وذلك بالمساعدة فى سفر الوفد كما أرسل إلى كل من رئيس وزراء فرنسا " كلمنصو " رئيس وزراء ايطاليا" اورلندو" .

اختمرت فكرة الحرية الكاملة فى أذهان المصريين، وأصبح كل مضرى يتساءل عما وصلت إليه الحركة وما يراد لها فى المستقبل ولم تكن أعمال الوفد المصرى حتى ذلك الوقت تعلن للى الأمة المصرية بصفة رسمية بل كانت تنقل إليها أخبارها بطرق غير مباشرة ، ورأى الوفد أن المسألة قد وصلت إلى الحد الذى يجب عليه فيه أن يعلن أعماله إلى الأمة بصفه رسمية ، فتزاد بذلك التفافاً حول الوفد.

وكـان الوفـد يرمـى إلـى غـرض آخـر وهـو أن يزيـد الأجانـب المقيمـين فـى مصـر علمـاً بحقيقـة الحركـة المصـرية وأغراضـها ووسـائلها حتـى يطمننـوا اليهـا ولا تـؤثر فيهـا الدعايـة السـيئة التـى كـان يبثهـا بيـنهم أعـداء الحركـة لـذلك دعـا " حمـد الباسـل باشـا " عضـو الوفـد نفـراً كبيـرا مـن أعضـاء الجمعيـة التشـريعية والهيئـات النيابيـة الأخـرى والعظمـاء وكبـار ذوى الآراء للاجتمـاع بمنزلـه فـى ١٣ ينـاير ٩ لسـماع كلمـة الوفـد فيمـا يعمـل لتحقيقـه مـن الحصـول علـى اسـتقلال الـبلاد كاملاً وحريتها تامة . وقد ألقى سعد زغلول خطاب ها فى هذا الاجتماع .

تفاقمـت الحالـة السياسـية فـى مصـر واشـتد هيـاج الخـواطر بسـبب إجـراءات العسـف التـى اتبعتهـا السـلطة العسـكرية حيـال الأمـة ومنـع الوقـد مـن السـفر ، وزاد الحالـة تفاقمـاً اسـتقالة حسـين رشـدى تضـامنا مـع الوفـد ، قـررت الحكومـة البريطانيـة اسـتدعاء السـير وينجـت المنـدوب السـامى إلىلنـدن لتقـف منـه علـى الحالـة تفصـيلا تمهيـدا لوضـع الخطـة التـى تراهـا ناجحـة ٠ وقـد غـادر ونجـت القـاهرة مسـاء ٢٠ ينـاير ونـاب عنـه فـى غيبتـه السـير ملـن شـيتهام ، وقـد اسـتمرت الحركـة فـى الأشـتداد بعـد رحيـل وينجـت واسـتمر الوفـد فـى عودتـه واعتـزم عقـد اجتمـاع عـام فـى بيـت الأمـة (بيت سعد زغلول) حدد له يوم ٣١ يناير » ولكن السلطة العسكرية قزرت منعه .

ان تشـبث رشـدى كمـا ذكـرت خطـاب اسـتقالته فـى ١٠ فبرايـر ١٩١٩ بسـفر الوفـد " كشـرط أساسـى " لسـحب اسـتقالته، لـيس سـبب ازديـاد قـوة الوفـد فـى مصـر ، لأمنـه لـو كـان قـد سـمح لـه بالسـفر منـذ البدايـة بـدون الوفـد لـرفض أيضـاً وأصـر علـى ضـرورة سـفر الوفـد وذلـك لسـببين : الأول : أن الخطـة بـين الوفـد ورشـدى كانـت منـذ بدايـة نقـوم علـى هـذا الأسـاس ، ولـم يكـن فـى وسـع رشـد أن يـنقض هـذا التعـاون ويسـنافر" حـده دون أن يعـوض نفسـه لهجـوم الوفـد علية ومحاربـة أى اتفـاق يتوصـل إليـه علـى أسـاس الحمايـة . وهـو مـا سـوف تؤيـده الاحـداث عنـدما

يتخاذل السلطان، ويقبل استقالة رشدى نهائيا وثانيا : أن رشدى نفسه كان يعلم أن وزارته لا تقوم. على اسس دستورية ومن ثم فلم يكن ليستطيع أن يبرم اتفاقا مع انجلترا بخصوص مستقبل مصر وارء ظهر الوفد الذى وكلته الأمة .

وعلى كل حال أرسل وينجب فى ١٦ يناير إلى حكومته يؤيد طلبات رشدى ويحثها على قبولها ، وعندئذ رأت الحكومة البريطانية استدعائه اليها ليشرح الموقف بنفسه ، فسافر إلى باريس فى ٢١ يناير » وصلها فى يوم ٢٩ منه على هذا الموقف كان سفر وينجب سابقة الذكر.

وبسبيب رفض الحكومة البريطانية السماح للوفد للسفر إلى الخارج جدد رشدي استقالته فى أول مارس ١٩١٩ فقبلها السكان هذه المرة ى وكان ذلك نقطة تحول فى الموقف كله ، ومعناه طى قضية الإستقلال وتثبيت الحماية، وحرمان مصر من عرض قضيتها على مؤتمر الصلح.

وفى خطاب سعد زغلول الذى ألقاه فى ٢٧ فبراير بقاعة الجمعية المصرية للإقتصاد والتشريع أعلن بطلان الحماية بطلاناً تاماً وقرر امام المجتمعين أن الشعب يرفض هذه الحماية ويطلب الاستقلال وحاول سعد أن يصبغ على حركته مزيد من الشرعية فأرسل إلى الملك فؤاد " السلطان فؤاد وقتئذ خطاباً إليه فيه أن يؤيد شعبه ولكن فؤاد لم يرد -

أحداث ثورة ١٩١٩

ان ثـورة ١٩١٩ تنقسـم فـي الحقيقـة إلـى مـرحلتين: الثـورة العنيفـة التـي حـدثت فـي مـارس أثـر نفـي سـعد زغلـول وصـحبه الـثلاث إلـى مالطـة، وهـي مرحلـة قصـيرة المـدى مـن الناحيـة الزمنيـة، وهـي الثـوروة التـي قاومتهـا القـوات العسـكرية البريطانيـة بكـل عنـف، وهـي المرحلـة التـي اشـترك فيهـا الفلاحـون اشـتراكا فعـالا، وفيهـا ظهـرت الحكومـات الوطنيـة المسـتقلة عـن القـاهرة فـي زفتـى والمنيـا والمجـالس الوطنيـة المسـتقلة فـي كثيـر مـن المراكـز، وهـي أخـر المرحلـة التـي كـان يمكن أن تتطور من ثورة سياسية إلى ثورة اجتماعية غير واعية.

ثـم تلتهـا المرحلـة الثانيـة للثـورة التـى بـدأت مـن أبريـل وهـى مرحلـة طويلـة المـدى تتميـز بخـروج الفلاحـين مـن العمـل الثـورى الايجـابى وانحصـار الثـوراة فـى القـاهرة ومـدن القطـر ولعبـت فيهـا عناصـر المـدن مـن طلبـة ومـوظفين ومحـامين وعمـال الـدور الاساسـي هـذه هـي مرحلـة الكفـاح السلمي.

لمـا أغرقـة محمـد سـعيد فـى وزارتـه الرابعـة بعـد وزارة رشـدي علـى المـوظفين مـن عـلاوات ودرجـات ، كمـا أن اضـطرار المـوظفين كـان بعـد تسـلمهم مرتبـاتهم ، والجـدير بالـذكر أن ثـورة ١٩١٩ كانـت ثـورة شـعبية شـملت جميـع طوائـف الشـعب وان كـان للطلبـة الـدور البـارز فيهـا، ولكـن لا نستطيع أن نفعل دور الفلاحين والعمال .

وقـد نظـم الطلبـة أنفسـهم فـى لجـان لتنظـيم أعمـاليم وتحركئـاتهم فـى الثـورة واعتمـدت علـيهم قيـادة الوفـد البرجوازيـة فـى كثيـر مـن الأعمـال » فـإلى جانـب المظـاهرات قـام الطلبـة بـدور البـوليس الـوطنى لحفـظ النظـام أثنـاء المظـاهرات والإجتماعـات وتوزيـع المنشـورات وتنظـيم وسـائل المقاومـة

وهـو عمـل ايجـابى علـى مقيـاس واسـع وكبيـر ، وهـذا بخـلاف الفلاحـين الـذين لـم يكـن هنـاك مـن ينظمهم أو لم تكن هناك قيادة تقود هذه الفة من الشعب .

وفـى ٨ مـارس ١٩١٩ ألقـت السـلطات البريطانيـة القـبض علـى سـعد زغلـول وثلاثـة مـن صـحبه، وهـم محمـد محمـود باشـا واسـماعيل صـدقى باشـا وحمـد الباسـل باشـا وسـاقتهم إلـى ثكنـة قصـر النيـل حيـث قضـوا الليـل بهـا، وفـي ٩ مـارس نقلـوا الـى بورسـعيد ثـم إلـى جزيـرة مالطـة التـي اختارتها السلطة العسكرية منفى لهم ومعتقلا .

وفـى ٩ مـارس بـدأت الثـورة بمظـاهرات الطلبـة كمـا سـبقت الإشـارة، وان كانـت المظـاهرات سـلمية ، اذ أضـربوا عـن تلقـى الـدروس وخرجـوا مـن مدارسـهم ، وكـان طلبـة مدرسـة الحقـوق او المصـريين، وفـى اليـوم التـالى الأثنـين ١٠ مـارس كـان جميـع طلبـة المـدارس والازهـر قـد أضـربوا عـن دروسـهم وأعلنـوا الإضـراب العـام ، وألقـوا مظـاهرة كبـرى ، أنضـم إلـيهم فيهـا مـن صـادفهم مـن أفـراد الشـعب مختـرقين شـوارع القـاهرة وميانينهـا ومـروا بـدور المعتمـدين السياسـيين هاتفين بحياة مصر والحرية والوفد ، ومنادين بسقوط الحماية -

واشـترك العمـال فـى الثـورة وسـقط مـنهم فئـات مـن القتلـى والجرحـى ، وفـى يـوم ١١ مـارس أضـرب عمـال التـرام ، واسـتمر اضـرابهم ثمانيـة أسـابيع ولـم يعـودوا إلـى عملهـم إلا بعـد الإفـراج عـن سـعد إثـر اعتقالـة الأول ، كمـا أضـرب عمـال العنـابر يـوم ١٥ مـارس، وكـان عـددهم يزيـد علـى أربعـة آلاف ، ولـم يعـودوا ل ١٩١٩، واضـرب عمـال الفنـارات والأحـواض وورش الحكومـة فـي الاسكندرية.

قـد عمـل عمـال العنـابر إلـى اتـلا مفـاتيح قضـبان السـكة الحديـد، ثـم قطعـوا الخـط الحديـدى بـالقرب مـن امبابـة فتعطلـت قطـارات الوجـة القبلـى دفـى يـوم ١٦ مـارس اعتصـم عمـال شـركة النـور

فباتت العاصمة فى ظلام حالك ، واخذت المظاهرات تسير ليلا تحمل المشاعل، وفى ١٨ مارس اجتمع عمال العنابر وفريق من الصناع فى شار ع بولاق ثم ساروا إلى الأزهر للإنضمام إلى المتظاهرين فيه ، وقد اشتبكوا مع القوات العسكرية البريطانية بالقرب من كوبرى العلا، وسقط كثير من القتلى والجرحى .

وكانت نقابة المحامين قد أعلنت الإضراب انقطع المحامون عن المحاكم إلا من كان يوفدهم المجلس اليها لطب تأجيل القضايا و استشارت القسوة فى قمع المظاهرات غضب الناس وحنقهم فكثرت المظاهرات بدلا من ان تقل ، وقد دعا عمل المحامين هذا إلى اجتماع رئيس محكمة الإستئناف (وكان وقتند يحيى باشا ابراهيم) والمستر شيلدون ايموس نائب مستشار الحقانية فى ١٥ مازس للنظر فى اضرب المحامين فكتبا للنقابة المحامين يرجونها العدول عن الإضراب » فلما لم يكن تحويل المحامين عزمهم اعلن القائد العام فى ١٧ مارس منشوراً بتهديد المحامين .

أنشأت القيادة العسكرية البريطانية محكمة عسكرية فى قسم "الأزبكية لمحاكة المقبوض عليهم فى اليوم الأول للثورة واستمرت فى الأيام التالية تحاكم من يقبض عليهم فى المظاهرات » وكانت أحكامها تصدر بالحبمن أوالجلد أو أيهما معا أو الغرامة.

انتشرت النقابات فى كل مكان ومالي صناعة وحرفة حتى قيل أن عدد النقابات فى الإسكندرية وحدها زاد إلى ٢٣ نقابة وفي القاهرة إلى ٣٨ وفى القنال إلى ١٧ ، وفادت هذه النقابات حركات اضطراب كثيرة أحتلت فيها المصانع وتحقق للطبقة العاملة بعض الزيادة فى الأجور لتقابل بعض الشئ فى الزيادة الضخمة فى تكاليف المعيشة، كما قامت بتنظيم الصفوف وقادت الإضتطراب ، وطالبت بساعات عمل اقل.

وفـى ٢٠ مـارس أجتمـع طلبـة مـدارس الأمريكـان وويصـا والجمعيـة الخيريـة والثانويـة الأميريـة والنهضـة والأقبـاط العاليـة والمعهـد الـدينى بأسـيوط بفنـاء كليـة الأمريكـان ، وقـاموا بمظـاهرة سـلمية وقـام جمهـور مـن الأهـالى معهـم علـى اخـتلاف طبقـاتهم طـافوا شـوارع المدينـة ولـم يحدث ما يكدر صفو الأمن العام مما يبرهن أن المصريين أمة مسالمة .

وعـن أخبـار الثـورة فـى أسـيوط يضـح " فكـرى أباظـة " أن المواصـلات قطعـت بـين أسـيوط والقـاهرة وبـين أسـيوط وغيرهـا مـن المـدن الأخـرى ، وبـذلك يوضـح أن أسـيوط انعزلـت أو انفصـلت عـن بـاقى المـدن المصـزية » وان أخبـار الثـورة فـي القـاهرة أثـارت حمـاس النـاس فـى أسـيوط كشـرت عـن أنيابهـا وانشـدت الأغـانى وطبـع منهـا أكثـر مـن ٢٠,٠٠٠ نسـخة ووزعوهـاعلى الجمـاهير وقـد غناها المسلمون والأقباط ، فقد كللت الثورة تفوق عن ستة آلاف نسمة .

والواقـع أن الكثيـر مـن الكتـاب يركـزون علـى الأحـداث فـى اسـيوط بأنهـا مـن أعنـف الحـوادث فيـذكر "أحمـد بهـاء الـدين " هجـم الثـوار علـى مراكـز البـوليس واسـتولوا علـى السـلاح ، وتكونـت لجـان مـن المحـامين تحـافظ علـى الأمـن وتباشـر مسـئوليات الحكـم ، والأهـالى يشـنون علـيهم الهجمـات المسـلحة يـوم بعـد يـوم وكـان مـن أهـم هـذه اللجـان " اللجنـة الوطنيـة المحليـة " التى أصدرت بتشجيع من مديرها منشورات تنادى بالإستقلال وتستنكر العنف .

الجدير بالذكر أن مطالب الأقاليم بالإجقتقلال انتشرت بسرعة فى الأقاليم -

واقامـت لهـا حكومـات وطنيـة محليـة ٠ كمـا حـدث فـى زفتـى والاسـكندرية و الزقـازيق وبنهـا وقليوبيـة وسـمنود ودميـاط والمنصـورة والفيـوم والمنيـا وقنـا وأسـوان بجانـب أسـيوط ويـرى الـبعض بحـق أن قيـام هـذه الحكومـات المحليـة أو المجـالس الوطنيـة كـان محاولـة مـن جانـب الطبقـة البورجوازيـة المصـرية لحمايـة ممتلكاتهـا مـن جمـوع الشـعب ، وانهـا قامـت بغـرض المحافظـة علـى

أوضاع الملكية الفردية بعد أن افلت زمام الموقف من حكومة القاهرة فعلى سبيل المثال ، أوشك الثائرين من اشعال النار فعمارة محمود باشا سليمان وولده محمد باشا محمود أحمد المنفيين فى مالطة ومن أجلهم قامت الثورة حيث رصت صفائح البنزين المنهوب من مخازن مجاورة حول العمارة وحينما قيل لهم إنه منزل محمد محمود المنفى من أجل حرية البلاد » فقال أحدهم وعل وزع محمود باشا سليمان أرغفة العيش على الجائعين نحن طلاب قوت .

ويمكننا القول ان الفلاحين لم يكونوا على درجه كافيه من الوعي الاجتماعي والسياسي الذي كان للطبقة البرجوازيه كما كان ينقصهم التنظيم، ومع ذلك لم تظل تلك الاشياء من اهميه الدور الخطير الذي قام به الفلاحون، الذين كانوا يعانون من ظلم اجتماعي في ظل الاوضاع القائمه التي تعمل تحت سلطات الاحتلال على الابقاء وعليها وتدعمها.

ولما ساءت الحاله في اسيوط، وصلت في ٢٤ مارس طائرتان حربيتان عائدتين الى اسيوط فاشتركتا في عمال الدفاع وفي القاء بعض القنابل على الاهالي، كم ساءت التحدات الحربيه من القاهره الى اسيوط بطريق البواخر النيليه وقد لقيت في طريقها مقاومه عنيفه من جماعات الثوار على ضفاف النيل بين ديروط واسيوط

لم تقتصر الثورة فى الأقاليم على اسيوط قط وانما كانت جميع الأقاليم المصرية كانت عنيفة بالفعل مثل "أسيوط ا بل واشد ولما لم نستطع سرد هذة الأحداث كاملة فسنقتصر على امثلة قليلة بجانب ما طرحناه عن أسيوط فالمثال التالي عن زفتى حيث قامت مظاهرة ضخمة في ١٨ مارس ١٩١٩ برئاسة يوسف الجندى / وأعلنت الإستقلال وأنزلت العلم الذي يرفع على المركز ورفعت بدل منه علما اخر وطنيا وازاعت منشورا بان الجنة تولت الأمر فى المدينة للمحافظة على الامن واصدرت جريدة أسمتها الجمهورية – فما كان من السلطة العسكرية

إلاأن أرسلت إلى زفتى قوة من الجنود الاستراليين لقمع الثورة ، فأخذ الأهالى يحفرون الخنادق لمقاومتها وخلعوا قضبان السكة الحديدية، واعلنت الجمهورية وتختلف الراى حول هذه الظاهرة التاريخية فهى فى تقيمها النهائي ثورية ولكنها محدودة فى هذه الثورية، أما الطابع الثور فيمثل فى اعلانها الاستقلال، اما الطابع النورى المحدود فيتمثل فى اقامة حكومة للمحافظة على الملكية الزراعية فى زفتى أن لم يكن فى المديرية كلها .

وبينما انتشرت الإضطرابات فى انحاء الدلتا وفى الصعيد يوم ١٥ مارس حدثت اضطرابات خطيرة بنى سويف ' ولا سيما فى الواسطى بينما اقتضرا الإضطرابات فى المدن الواقعة جنوبهما على المظاهرات السليمة فنظم بعض المسيرات فى اسيوط وسوهاج وقنا .

وفى اسوان قطع التاثزون – بتشجيع من ناظر المدرسة القبطي – خطوط السكة الحديدية واسلاك التلغراف وحبسوا المدير ورفعوا علم الصليب والهلال ، وفى مديرية المنيا حدثت اعمال عنف دمرت فيها وسائل المواصلات واحرقت المخازن وصورت كميات الغلال التي جمعت لتسليمها الى الجيش واحداث الثورة في الاقلية كثيرة.

مما لا شك فيه أن اشتراك الفلاحين نى ثورة ١٩١٩ لم يكن اشتراكا منظما ولم يكن بفرض سياسى تابع عن رغبتهم في الاستقلال أو مساعدة البلاد فى الحصول على دستورها، ولم يكن اشتراكهم واندماجهم فى الثورة كان تحريضا من احد او انها حركة منظمة مذفو عة الأجر أوحركة بلشفية موجهة من الخارج كما كانت السلطات البريطانية فى مصر تنظر إلى الموقف انذاك ٠ وانما اشتركهم فى الثورة قدم بطريقة تلقائية، وكانت لهم دوافع خاصة تختلف عن دوافع قياده الثوره لقد كانوا يتحركون ظاهريا تحت قياده الوفد، ولكنهم من الناحيه الواقعيه كانوا يمارسون انتفاضه خاصه بهم هي التعبير عما اصابهم من الظلم الاجتماعي كما

سبقت الاشاره. كان لقتالهم في سبيل لقمه العيش والدافع الاساسي لانتفاضتهم، اما العنف الذي مارسوه وبالشكل الذي حدث فقد كان اهم دافع له الانتقام من الاحتلال والاجانب والسراي، وكبار الملاك بصفه عامه، وان البعد الاجتماعي الذي اغرى الاجانب في كتابه المساله المصريه بان ما حدث في مصر بتأثير الثوره السوفيتيه التي حدثت عام ١٩١٧ هو غير صحيح بسبب البعد الجغرافي واختلاف القياده المصريه التي تنتمي منه في اوسطي وكبار الملاك.

وقد استعمل انجليز شتى اساليب الارهاب لكنه انقاس الناس، وقبضوا على كثير من الوجهاء والمحامين واعيان البلاد وزجوا بهم في السجون، وتعرضوا للاهانات الشديده، ومنهم على سبيل المثال معمور اسيوط الذي اتهم بالتحريض الثوره وتسليمهم الاسلحه، وقد شكلت لذلك المحاكم العسكريه التي حكمت بالاعدام على كثير من التكاثر بين، من كان رئيس الوزراء(محمد سعيد باشا) في تلك الوقت قد طلب التدخل في هذه الاحكام كما طلب من القائد العام الغاء المحاكم العسكريه واحالة الباقي لديها من القضيه الخاصه بحوادث الاضطرابات على السلطات المدنيه، والمحاكم العاديه خاصه ان بعد اعادة الهدوء في البلاد، وليس هذا فحسب فقد صورت الاوامر بالتهديد وتخريب البلاد حيث صدر انذار القائد العام في ٢٠ مارس بان كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديديه والمهمات الحديدية يعاقب عليها باحرامة القريه التي هي اقرب من سواها الى مكان تدمير.

ناهيك عما قام به الجنود الانجليز في كثير من البلدان من فظائع لقمع الاضطرابات، فعلى سبيل المثال ما قام به الانجليزي في قريه العزيزيه بالبدرشين في ٢٥ مارس من الحوادث

المؤلمه تشمئز منها النفوس، حيث قاموا بضرب الناس ونهب اموال و تمزيق ثياب النساء حتى تركوا عاريات بحجة التفتيش.

استقر رأي السلطات الانجليزية على نفى سعد وصاحبي الى جزيره سيشل شمال شرطه جزيره مدغشقر في ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ حتى ١٨ اغسطس ١٩٢٢ حيث نقل الى جبل طارق مراعاة لصحته وعلم الوفد على دعم صفوفه في تقدم الى عضويته في ٣ يناير ١٩٢٢ عدا من(علي الشمسي و علوي الجزار و مراد الشريعي و مرقص حنا وعبد القادر الجمال) وقد اصدر الوفد قرارا بتنظيم المقاومه السلميه كما سبقت الاشاره نص على نوعين: عدم التعاون والمقاطعه.

و اعتقلت السلطة العسكريه الاعضاء الذين وقعوا قرار المقاومه وهم: محمد الباسل، وانت واصف، وعلى ماهر، وجورج خياط، ومرقص حنا، وعلوي الجزار، مراد الشريعي، واصف بطرس غالي، واودعهم ثكنات قصر النيل كما عطلت الصحف التي نشرت هذا القرار وهي الاخبار المحروسه والنظام والامه والمقطم، ثم عادت فأذنت لهم بالظهور.

وفي ٢٨ يناير قبض البوليس على اعضاء جماعه من الطلبه واتهموا بتدبير اعتداء على عبد الخالق ثروت الذي كان يعمل على تشكيل الوزاره الجديده مؤيدا من المندوب السامي.

١- عدم قبول مشروع كيرزون والمذكره تفسيريه الملحقه به.

٢- تصريح الحكومه البريطانيه بالغاء الحمايه والاعتراف باستقلال مصر.

٣- اعاده وزاره الخارجيه والتمثيل الخارجي بسفراء وقناصل.

٤- انشاء برلمان تكون له السلطة العامه وتكون الحكومه مسؤوله امامه

٥ - اطلاق يد الحكومة بلا مشارك فى جفيع اعمال الدولة .

٦- لا يكـــون للمستشـــارين الإنجليـــز فـــى الـــوزارات إلا رأي استشـــارى وإلغـــاء حـــق المستشار المالى فى حضور جلسات مجلس الوزراء .

٧- حذف وظائف المستشارين ما عدا مستشار المالية ومستشار الحقانية .

٨- استبدال الموظفين الأجانب بموظفين مصريين .

٩- رفع الأحكام العسكرية والإفراج عن المعتقلين. وإعادة المبعدين .

١٠- الدخول فى مفاوضات جديدة مع الإنجليز بعد تشكيل البرلمان .

١١- يكون قبول الشروط بمقتضى وثائق مكتوبة من الحروب الإنجليزية .

تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م:

رفـع اللنبـى شـروط ثـروت لتـأليف الـوزارة التـي سـبق ذكرهـا ، مـع انجلتـرا عـن طريـق هيئـة معتمـدة مـن البرلمـان الـذي سـيكون لـه القـول الفصـل فـى نتيجـة المفاوضـات علـى ان تسـتبقي فقـط للتسوية أربع مسائل هى :

١- تأمين المواصلات الأمبراطورية البريطانية .

٢- الدفاع عن مصر ضد أى أعتداء أو تدخل اجنبي مباشر وغير مباشر .

٣- حماية المصالح الأجنبية وحماية الأقليات .

٤- السودان

وقد اختتم المشروع المعدل على وثيقتين هامتين :

الأولى : تصريح بإنهاء الحماية على مصر مع تحفظات أربعة .

الثاني : كتاب مفصل إلى السلطان والكتاب المفصل يشتمل على أحدى عشر فقرة تستهدف الأربع الأولى منها إزالة سوء التفاهم فيما يتعلق بتبليغ ٣ ديسمبر ، وتتناول الخمسة الدفاع عن الموارد التى وردت فى مشروع كيزون بشأن المستشارين البريطانيين فى وزارتى المالية والحقانية » وان اصدق رغبات الحكومة البريطانية واخلصها هو أن تترك للمصريين إدارة شئونهم، على عكس ما بقيت عليه هذه الفقرة الخامسة والسادسة أيضا، أما الفكرة السابعة فتسوع التدابير الاستثنائية التى اتخذت ضد سعد زغلول بان الغرض منها لم يعد وضع حد لتهيج ضار قد يكون لتوجيهة إلى أهواء التامة نتاتج تذهب بثمرة الجهود القومية المصرية وتتضمن الفقرتان التاسعة والعاشرة الموافقة على المباديء التى اشتمل عليها برنامج ثروت – الاولى بشان اعادة وزير الخارجية وتحقيق التمثيل السياسى والقنصلي لمصر والثانية بشأن البرلمان – وهى النقرة التى ذكرنا انها تختلف عن المشروع عليه.

أن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ يتضمن انتهاء الحماية البريطانية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، وهذه اول مرة صدر فيها هذا الاعلان منذ الحرب العالمية الاولى، فهذا الاعلان هو بلاشك مكسب لمصر، مكسب سياسي ومعنوي، وترتب عليه اعادة منصب وزير الخارجية الذي ألغى فى عهد الحماية وتحقيق التمثيل السياسى والقنصلى لمصر ، كما ان الإعتر اف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ازال العقبة التى كانت تعترض فلا أعلان الدستور .

وهذا نص التقارير :

بمـا ان حكومـة جلالـة الملـك عمـلا بنواياهـا التـى جـاهرت بهـا ترغـب فـى الحـال فـى الإعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة .

وبمـا أن العلاقـات بـين حكومـة جلالـة الملـك وبـين مصـر أهميـة جوهريـة للأمبراطوريـة البريطانية، فبموجب هذا نعلن المبادئ الآتية :-

١- انتهت الحماية البريطانية على مصر ، وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة .

٢- حالمـا تصـدر حكومـة عظمـة السـلطان قـانون تضـمينات (اقـرار الإجـراءات التـى اتخـذت باسـم السـلطة العسـكرية) نافـذ العمـل علـى جميـع مسـاكن مصـر تلغـى العرفيـة التـى اعلنت فى ٢ نوفمبر ١٩١٤.

٣- إلـى ان حـين الوقـت الـذى يتسـنى فيـه ابـرام اتفاقـات بـين حكومـة جلالـة الملـك وبـين الحكومـة المصـرية فيمـا يتعلـق بـالامور الآتـى بيانهـا وذلـك بمفاوضـات وديـة غيـر مقيـدة بـين الطرفين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الامور وهى.:

٤- تامين مواصلات الإمبراطورية البريطانية فى مصر

٥- الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبى بالذات آو بالوساطة .

٦- حماية المصالح الاجنبية فى مصر وحماية الأقليات.

٧ . السودان

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه امور على ما هو علية الآن.

وحينئذ قبل ثروت باشا تشكيل الوزارة من اول عمل بدأ به هو تشكيل لجنة الدستور -

وإذا لـو لـم تحـتفظ انجلتـرا بالشـروط الأربعـة السـابقة لكـان لجيشـها المقـيم بـالبلاد الكفايـة لتحقيـق كـل دعـوى تـدعيها وتضـييع كـل اسـتقلال تعتصـم بـه الـبلاد المحتلـة، فلـذا أضـيفت إلـى القـوة العسـكرية هـذه الشـروط كمـا تريـدها بريطانيـا فالـذي يبقـى مـن الاسـتقال لا يسـاوي عنـاءه والـذي يبقـى مـن الحمايـة او مـن الضـم الصـريح هـو الجـوهر الصـميم الـذي لـيس يعنـي القـوى شـئ سواه.

تحـدث سـعد زغلـول بعـد عودتـه مـن المنفـى مـن تصـريح ٢٨ فبرايـر فقـال علـى اسـلوبه فـي سـرد الامثـال: " هـو ناقـة البـدوي التـي تبـاع بمائـة درهـم وتبـاع التميمـةالتي فـي رقبتهـا بـألف ولكـن لا تباع الناقة بغير التميمة... فما أفلحها من صفقة (لولا الملعونة في رقبتها).

حقـا إن بقـاء الإحـتلال البريطـانى يجعـل الإعتـراف بالإسـتقلال صـوريا أكثـر منـه جـديا ‘ لأن الإحــتلال هــادم للإســتقلال . أن التصــريح يكــون ضــارا لــو قلبتــه الأمــة وارتضــت ب او اعتبرتـه خاتمـه الجهـاد ، امـا إذا كانـت ماضـية فـى جهادهـا فإنـه بـلا شـك فـوز لهـا فـى معركـة مـن سلسلة المعارك التى يتألف منه نضالها القومى الطويل .

إن ميـزة التصـريح أنـه إعـلان مـن جانـب واحـد وهـو انجلتـرا ولـيس فيـه أرتبـاط او قبـول مـن جانـب مصـر » أى أن مصـر لـم تقيـد بموجبـه بـاى قيـد ، ولا تنازلـت عـن أى حـق ، ولا تقيـدت بالتحفظـات الـواردة فيـه . وبتصـريح ٢٨ فبرايـر امكـن إعـادة وزارة الخارجيـة المصـرية ، وقـد تـولى هذه الوزارة رئيس الوزراء (عبد الخالق ثروت) نفسه .

وقد وجهت كثير من الإنتقادات لثروت باشا ووزارته وقد تمثلت فى تعيينه سكرتير عام انجلترا لوزارة ألخارجية" المستر كوين بويد " وتغلغل النفوذ الغنجليذى فى الوزارات المصرية . واستمرار الاحكام العرفية، وعث قانون المطبوعات على عهد وزاراته والذى كان قائما على عهد الإحتلال ، كذلك ما لجأت اليه وزارته من ترقية بعض المنتمين إليها دون استئذان السراى هذا فضلا عن مسألة السودان – إذ تعرض ثروت للإنتقاد بسبب التزامه الصمت إزاء ما قامت به السياسة البريطانية من تصرفات متعددة ومتكررة، بقصد الفصل بينه وبين مصر ء بل لقد القى اللوم على وزارته عدم اشتراطها – فى المفاوضات التي سبقت تاليفها – تقرر بطلان اتفاقية عام ١٨٩٩، وما أدى إليه هذا التساهل من اطماع إنجليز " فى أن يزيدوا مركزهم السودان تثبيتا.

شكلت وزارة ثروت لجنة لوضع الدستور تحت رناسة حسين رشدى باشا فى ٣ ابريل ١٩٢٢ ورفض الوفد والحزب الوطنى الإشتراك فيها وحظيت وزارة ثروت بتأييد ومباركة دار المندوب السامى ، فقد اعتبرها الدار تنفيذاً لسياستها القائمة على الأخذ بيد المعتدلين فى مواجهة من أسمتهم المتطرفين .

وفى اكتوبر ١٩٢٢ ، كون المنقسمون حزب الأحرار الستوريين تحت رئاسة عدلى يكن ، وكان وجود هذا الحزب موضع إطمتنان السياسية البريطانية إذ كانت تهدد بع كل هيئة نيابية لا تميل إلى التسليم فى حقوق البلاد .

انتهج الملك سياسة بث العراقيل في طريق الوزارة المصرية مما بدا واضحا في رفضه لانعقاد مجلس الوزراء لبضعة اسابيع مما ترتب عليه تعطيل سير الاعمال الحكومية الى حد

خطيـر، وتـدخل المنـدوب السـامي، ولكـن الملـك بـدأ التقـرب الـى الوفـد بـين أغسـطس – نـوفمبر وتسجل التقارير البريطانية أن التدابير الذى انتهى باسقاط ثروت كان بإتقان بين الملك والوفد.

علـى أيـة حـال فقـد أضـعف مركـز ثـروت لـدى المنـدوب السـامى بـالخلاف حـول لقـب ملـك مصـر والسـودان عمـل أن الملـك لجـا إلـى إحـراج ثـروت بـأن طلـب منـه السـعى لـدى الإنجيـز للإفـراج عـن سـعد زغلـول – وعلـم ثـروت فـى النهايـة أن الملـك يـدبر للإعتـداء عليـة عـن طريـق الوفـديين فـى ٣٠ نـوفمبر فبـادر ثـروت إلـى تقـديم اسـتقالته قبـل .تنفيـذ هـذا الإعتـداء بيـوم ـواحـد وقبلها الملك وألف ".توفيق نسيم " رئيس الديون–الوزارة الجديدة .

فـراح أنصـار سـعد زغلـول بـوزارة توفيـق نسـيم وهللـوا لكنهـا مـا لبثـت أن وافقـت الإنجليـز علـى مطلـبهم فـى ان ينعـى الدسـتور علـى أن يلقـب الملـك بملـك متصـر وأن يؤجـل موضـوع السـودان إلـى أن يـتم الاتفـاق بشـانة كمـا حصـل تعـديل فـى بعـض النصـوص الأخـرى ، ولـم يمـض علـى توفيـق نسـيم اكثـر مـن شـهرين حنـى اسـتقال بسـبب كراهيـة الشـعب لـه وخلفـه" يحـي ابـراهيم باشـا " الـذى اصـدرت حكومتـة مرسـوماً بنفـاذ الدسـتور فـى ١٥ مـارس١٩٢٣ معـدلا بمـا حقـق رغبات الإنجليز وبعض رغبات الملك . تم الإفراج عن :سعد فى مارس ١٩٢٣.

وكانت القواعد الأساسية كالتالى :-

١-. مصر دولة حرة ذات سيادة وحكومتها ملكية وراثية.

٢- جميع السلطات مصدرها الأمة.

٣- مبدأ المساواة بين المصريين فى التمتع بالحقوق المدنية والسياسية .

٤- حـق ولايـة المناصـب مقصـورة علـى المصـريين ولا يـولى الاجانـب مـن هـذه المناصـب إلى ما يعينة القانون في الأحوال الإستثنائية .

٥- الحرية الشخصية وحرية الإعتقاد وحرية الرأى مكفولة ولا يجوز القبض على أى إنسان ولا حبسة إلى وفق احكام القانون -

٦- حرية الصحافة

٧- لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون .

٨- حظر نفي اي مصري من الديار المصرية .

٩- قرار حرمة المنازل.

١٠ قرار حرمة الملكية فلا ينزع من أحد ملكه إلا للمنفعة العامة.

١١- التعليم الاولي الزامي ومجاني للمصريين – بنين وبنات.

١٢- قرر حق الاجتماع وتكوين الجمعيات.

١٣-القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون.

١٤- يتكةن البرلمان من مجلسين: مجلس الشيوخ ومجلس النواب.

١٥- الوزارة مسئولة أمام مجلس النواب ، فإذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بها وجب تقديم استقالتها ، وللملك حق حل مجلس النواب .

١٦- الملك يتولى سلطتة بواسطة وزارئه -

١٧- لا يصدر قانون إلى إذا أقره البرلمان وصدق علية الملك .

١٨- لا يجوز بأية حال تعطيل حكم من احكام الدستور إلى أن يكون وقتيا فى زمن الحرب أو أثناء قيام الأحكام العرفية .

١٩- يدعو الملك البرلمان سنويا إلى عقد جلساته العادية قبل يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر فإذا لم يدع إلى ذلك يجتمع بحكم القانون فى اليوم المذكور .

أعلن الدستور ثم صدر قانون الانتخاب في ٣٠ ابريل ١٩٢٣ وقد اعتبر سعد أن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نكبة وطنية، كما إنه سمى لجنة مشروع الدستور " لجنة الأشقياء ' ولكن دخل سعد زغلول الإنتخابات وامام تيار الدعاية الجارف ظهر حزب فى الإنتخابات باغلبية ساحقة تقترب من التسعين فى المائة .

المصادر

-أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: تاريخ مصر الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠١٨م.

-جاد طه: معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٥م.

-جرجي زيدان: مصر العثمانية، دار الهلال، القاهرة ،١٩١١م.

-جلال يحيى: مصر الحديثة(١٥١٧- ١٨٠٥)، منشاة المعارف، الإسكندرية ، د.ت.

-زين العابدين شمس الدين: الدولة والمجتمع في مصر في القرن ١٩، دار الكتب المصرية والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

-شوقي الجمل، عبد الله عبد الرازق ابراهيم: تاريخ مصر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

-صلاح احمد هريدي: تاريخ مصر الحديث والمعاصر(١٥١٧- ١٨٨٢) ، الاسكندرية، ١٩٩٧م.

-عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م .

-عبد العزيز نوار، عاصم دسوقي وآخرون: تاريخ مصر والعرب الحديث المعاصر، الادارة المركزية لشئون الكتب، ٢٠١٩/٢٠٢٠م.

-عمر الاسكندري، سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢ م.

-عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر(١٥١٧-١٩٥٢م)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م.

-يونان لبيب رزق: المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م.